كتب ثقافية

كتاب
الإمامة والسياسة

تأليف

الإمام الفقيه أبي محمد عبد الله بن مسلم
ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٠ هـ رحمه الله.

كتاب

الإمامة والسياسة

تأليف

الإمام الفقيه أبي محمد عبد الله بن مسلم
ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٠ هـ رحمه الله

الجزء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

(قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة رحمه الله تعالى)

نفتتح كلامنا بحمد الله تعالى ونقدس ربنا بذكره والثناء عليه لا إله إلا هو لا شريك له الذى اتخذ الحمد لنفسه ذكراً . ورضى به من عباده شكراً وصلى الله على سيدنا محمد الذى أرسله بالهدى. وختم به رسل الله السعدا صـــلاة زاكية وسلم تسليما كثيراً أبداً .

(فضل أبى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما)

حدثنا ابن أبى مريم قال حدثنا أسد بن موسى قال حدثنا وكيع عن يونس بن أبى اسحاق عن الشعبى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال : كنت جالساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل أبو بكر وعمر رضى الله عنهما فقال عليه السلام : هذان سيدا كهول أهل الجنة من الاولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين

عليهم السلام ولا تخبرهما يا علي. حدثنا يحيى ابن عبد الحميد الحماني
رضى الله عنه حدثنا أحمد بن حواش الحنفي قال حدثنا ابن المبارك
عن عمر بن سعيد عن أبى مليكة قال سمعت ابن عباس رضى الله عنه
يقول: وضع عمر رضى الله عنه على سريره فتكنفه الناس يدعون
ويصلون قبل أن يرفع فلم يرعنى الا رجل قد أخذ بمنكبي من ورائى
فالتفت فاذا على بن أبى طالب كرم الله وجهه يترحم على عمر رضى الله
عنه وقال: والله ما خلفت أحداً أحب إلى أن ألقى الله تعالى بمثل عمله منك
ياعمر وأيم الله أن كنت لأرجو أن يجعلك الله مع صاحبيك وذاك
أنى كنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ذهبت أنا
وأبو بكر وعمر وكنت أنا وأبو بكر وعمر وأنى كنت لا أظن
أن يجعلك الله تعالى معهما. وأخبرنا ابن أبى شيبه قال حدثنا يزيد
بن الحباب عن موسى بن عبيد قال أخبرنى أبو معاذ وأبو الخطاب
عن على رضى الله عنه قال بينما أنا جالس مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم إذ أقبل أبو بكر وعمر رضى الله عنهما فقال يا على
هذان سيدا كهول أهل الجنة إلا ما كان من الأنبياء عليهم السلام
وعلى تخبرهما. حدثنا الوليد بن مسلم عن عبد الله بن عبد الله العلى
عن القاسم ابن أبى عبد الرحمن رضى الله عنهما أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال: لقد هممت أن أبعث إلى الأمم رجالا

يدعونهم إلى الإسلام ويرغبونهم فى الدين فابعث أبى بن كعب وسالم مولى أبى حذيفة ومعاذبن جبل كما فعل عيسى ابن مريم عليهما السلام . فقالوا يارسول الله أفلا تبعث أبا بكر وعمراً رضى الله عنهما فقال صلى الله عليه وسلم : هما لابد لى منهما ، هما منى بمنزلة السمع والبصر . وحدثنا قال أخبرنا ابن المبارك قال أخبرنا محمد بن الزبير قال أرسلنى عمر بن عبدالعزيز إلى الحسن البصرى رحمهما الله تعالى أسأله ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم استخلف أبا بكر رضى الله عنه ، فأتيته فاستوى جالساً : وقال : أى والذى لا إله إلا هو استخلفه وهو كان أعلم بالله تعالى وأتقى لله تعالى من أن يتوثب عليه لولم يأمره .

(استخلاف رسول الله أبا بكر رضى الله عنه)

غن ابن أبى مريم قال حدثنا الغريانى عن أبى عون بن عمرو ابن تيم الأنصارى رضى الله عنه وحدثنا سعيد بن كثير عن عفير بن عبد الله بن عبد الرحمن قال حدثنا بقصة استخلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر وشأن السقيفة وما جرى فيها من القول والتنازع بين المهاجرين والأنصار وبعضهم يزيد على بعض

فى الكلام فجمعت ذلك وألفته على معنى حديثهم ومجاز لغتهم أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج فى مرضه الذى قبض فيه
متوكئاً على الفضل بن عباس رضى الله عنهما وغلام يقال له ثوبان
رضى الله عنه ثم رجع صلى الله عليه وسلم فدخل منزله وقال
لغلامه اجلس على الباب ولا تحجب أحداً من الانصار رضى
الله عنهم فأحدقوا بالباب وقالوا للغلام ائذن لنا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال عنده نساؤه رضى الله تعالى عنهن فسمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم بكاءهم فقال من هؤلاء فقيل له
الانصار رضى الله عنهم يبكون فخرج صلى الله عليه وسلم متوكئا
على على والعباس رضى الله عنهما فدخل المسجد واجتمع الناس إليه
فقال صلى الله علية وسلم أنه لم يمت نبى قط الاخلف وراءه تركة
وأن تركتى فيكم الانصار رضى عنهم وهم كرشى التى آوى إليها .
أوصيكم بتقوى الله تعالى والاحسان إليهم فقد علمتم أنهم شاطروكم
وواسوكم فى العسر واليسر ونصروكم فى النشط والكسل فاعرفوا
لهم حقهم واقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم ثم انصرف
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منزله وهو معصوب الرأس
شديد الوجع فلما كانت الصلاة أتى بلال المؤذن رضى الله عنه
يدعو إلى الصلاة ففتح صلى الله عليه وسلم عينه وقال للنساء أدعن

لى حبيبي فعرفت عائشة رضى الله عنها أنه يريد أبا بكر فقالت أرسل إلى عمر فان أبا بكر رجل رقيق وإن قام مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم افتضح من البكاء وعمر أقوى منه فأرسلت إلى عمر رضى الله عنه فأتى فسلم ففتح رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد السلام ثم أطرق عنه فعرف عمر أنه لم يرده فلما خرج أقبل صلى الله عليه وسلم عليهن وقال : ادعن لى حبيبي فقالت عائشة رضى الله عنها: يارسول الله إن أبا بكر رجل رقيق فلو أمرت عمر يصلى بالناس فقال صلى الله عليه وسلم . انكن صواحبات يوسف عليه السلام ادعن لى حبيبي انما أفعل ما أومر فدعى أبو بكر رضى الله تعالى عنه فلما جاء قال له : إذهب مع المؤذن فصل بالناس فلم يزل أبو بكر رضى الله عنه يصلى بالناس حتى كان اليوم الذى مات فيه رسول الله وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين فأتمروا فقال قائل يدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان يصلى فى مقامه فقال أبو بكر رضى الله عنه: معاذ الله أن نجعله وثناً نعبده . وقال قائل ندفنه صلى الله عليه وسلم فى البقيع حيث دفن إخوانه من المهاجرين والأنصار فقال أبو بكر أنا نكره أن نخرج قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين أظهرنا إلى البقيع قالوا فما ترى يا أبا بكر قال سمعته صلى

الله عليه وسلم يقول : ما قبض نبي قط إلا دفن جسده حيث قبض روحه . قالوا فأنت والله رضى ومقنع وكان العباس بن عبد المطلب رضى الله تعالى عنه قد لقى عليا كرم الله وجهه فقال أن النبي صلى الله عليه وسلم يقبض فاسأله أن كان الأمر لنا بينه وأن كان لغيرنا أوص بنا خيراً فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العباس لعلى بن أبي طالب كرم الله وجهه أبسط يدك أبايعك فيقال عم رسول الله صلى الله عليه وسلم بايع ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبايعك أهل بيتك فان هذا الأمر إذا كان لم يقل[1]. فقال له على كرم الله وجهه ومن يطلب هذا الأمر غيرنا وقد كان العباس رضى الله عنه لقى أبا بكر فقال هل أوصاك رسول الله صلى الله عليه وسلم بشىء قال لا ولقى العباس أيضاً عمر فقال له مثل ذلك فقال : عمر. لا فقال: العباس لعلى رضى الله عنه : أبسط يدك أبايعك ويبايعك أهل بيتك .

(ذكر السقيفة وما جرى فيها من القول)

وحدثنا قال حدثنا ابن عفير عن أبي عون عن عبد الله بن عبد الرحمن الانصارى رضى الله عنه أن النبي عليه السلام لما قبض

(١) من الاقالة لا من القول ؟

اجتمع الانصار رضى الله عنهم إلى سعد بن عبادة فقالوا له أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قبض فقال سعد لابنه قيس رضى الله عنهما انى لا أستطيع أن أسمع الناس كلاما لمرضى ولكن تلق منى قولى فأسمعهم . فكان سعد يتكلم ويحفظ ابنه رضى الله عنهما قوله فيرفع صوته لكى يسمع قومه . فكان مما قال رضى الله عنه بعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه : يامعشر الأنصار أن لكم سابقة فى الدين وفضيلة فى الإسلام ليست لقبيلة من العرب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث فى قومه بضع عشرة سنة يدعوهم إلى عبادة الرحمن وخلع الأوثان فما آمن به من قومه إلا قليل والله ما كانوا يقدرون أن يمنعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يعرفوا دينه ولا يدفعوا عن أنفسهم حتى أراد الله تعالى لكم الفضيلة وساق الكرامة وخصكم بالنعمة ورزقكم الايمان به وبرسوله صلى الله عليه وسلم والمنع له ولاصحابه والاعزاز لدينه والجهاد لاعدائه فكنتم أشد الناس على من تخلف عنه منكم وأثقله على عدوكم من غيركم حتى استقاموا لامر الله طوعا وكرهاً وأعطى البعيد المقادة صاغراً داحراً حتى أثخن الله تعالى لنبيه بكم الارض ودانت بأسيافكم له العرب توفاه الله تعالى وهو راض عنكم قرير العين فشدوا أيديكم بهذا الامر

فانكم أحق الناس وأولاهم به فأجابوه جميعا أن قد وفقت
فى الرأى وأصبت فى القول وكفى بعد ذلك ما رأيت بتوليتك
هذا الأمر فأنت مقتنع ولصالح المؤمنين رضى . قال فأتى الخبر
إلى أبى بكر رضى الله عنه ففزع أشد الفزع وقام ومعه عمر
رضى الله عنهما فخرجا مسرعين إلى سقيفة بنى ساعـــدة
فلقيا أبا عبيدة بن الجراح رضى الله عنه فانطلقوا رضى الله عنهم
جميعاً حتى دخلوا سقيفة بنى ساعدة وفيها رجال من الأشراف
معهم سعد بن عبادة رضى الله عنه فأراد عمر رضى الله عنه ان يبدأ
بالكلام وقال : خشيت ان يقصر أبو بكر رضى الله عنه عن بعض
الكلام فلما تيسر عمر للكلام تجهز أبو بكر رضى الله عنه وقال له:
على رسلك فستكفى الكلام فتشهد أبو بكر رضى الله عنه وانتصب
له الناس فقال : ان الله جل ثناؤه بعث محمداً صلى الله عليه وسلم
بالهدى ودين الحق فدعا إلى الاسلام فأخذ الله تعالى بنواصينا
وقلوبنا إلى مادعا إليه فكنا معشر المهاجرين أول الناس اسلاماً
والناس لنا فيه تبع ونحن عشيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونحن مع ذلك أوسط العرب السابا ليست قبيلة من قبائل العرب
الا ولقريش فيها ولادة وأنتم أيضاً والله الذين آووا ونصروا

وأنتم وزراؤنا فى الدين ووزراء رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنتم اخواننا فى كتاب الله تعالى وشركاؤنا فى دين الله عز وجل وفيما كنا فيه من سراء وضراء والله ما كنا فى خير قط إلا كنتم معنا فيه فأنتم أحب الناس الينا وأكرمهم علينا . وأحق الناس بالرضا بقضاء الله تعالى والتسليم لامر الله عز وجل لما ساق لكم ولاخوانكم المهاجرين رضى الله عنهم وأحق الناس فلا تحسدوهم وأنتم المؤثرون على أنفسهم حين الخصاصة والله ما زلتم تؤثرون اخوانكم من المهاجرين وأنتم أحق الناس أن لا يكون هذا الأمر واختلافه على أيديكم وابعد ان لاتحسدوا اخوانكم على خير ساقه الله تعالى اليهم وانما أدعوكم الى أبي عبيدة أو عمر وكلاهما قد رضيت لكم ولهذا الأمر وكلاهما له أهل . فقال عمر وأبو عبيدة رضى الله عنهما ما ينبغى لاحد من الناس أن يكون فوقك يا أبا بكر أنت صاحب الغار ثانى اثنين وأمرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة فأنت أحق الناس بهذا الأمر ، فقال الأنصار والله ما نحسدكم على خير ساقه الله اليكم وأنا لكما وصفت يا أبا بكر والحمد لله ولا أحد من خلق الله تعالى أحب إلينا منكم ولا أرضى عندنا ولا أيمن ولكننا نشفق مما بعد اليوم ونحذر أن يغلب على هذا الأمر من ليس منا ولا منكم فلو جعلتم

اليوم رجلاً منا ورجلاً منكم بايعنا ورضينا على أنه إذا هلك اخترنا آخر من الأنصار فإذا هلك اخترنا آخر من المهاجرين أبداً ما بقيت هذه الأمة كان ذلك أجدر أن يعدل فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم وأن يكون بعضنا يتبع بعضاً فيشفق القرشى أن يرفع فينقض عليه الانصارى فيشفق عليه الانصارى أن يرفع فينقض عليه القرشى فقام أبو بكر لحمد الله تعالى وأثنى عليه وقال: إن الله تعالى بعث محمداً صلى عليه وسلم رسولا إلى خلقه وشهيداً على أمته ليعبدوا الله ويوحدوه وهم إذ ذاك يعبدون آلهة شتى يزعمون أنها لهم شافعة وعليهم بالغة نافعة . وإنما كانت حجارة منحوتة وخشباً منجورة فاقرأوا إن شئتم « إنكم وما تعبدون من دون الله مالا ينفعهم ولا يضرهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله . وقالوا ومانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى » فعظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم فخص الله تعالى المهاجرين الاولين رضى الله عنهم بتصديقه والإيمان به والمواساة والصبر معه على الشدة من قومهم وإذلالهم وتكذيبهم إياهم وكل الناس مخالف عليهم زار لهم فلم يستوحشوا قلة عددهم وأرزاء الناس لهم واجتماع قومهم عليهم فهم أول من عبد الله فى الارض . وأول

من آمن بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وهم أولياؤه وعشيرته وأحق الناس بالأمر من بعده لا ينازعهم فيه إلا ظالم وأنتم يامعشر الأنصار من لاينكر فضلهم ولا النعمة العظيمة لهم فى الإسلام . رضيكم الله تعالى أنصاراً لدينه ولرسوله وجعل إليكم هجرته فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا بمنزلتكم فنحن الأمراء وأنتم الوزراء لا نفتات[1] دونكم بمشورة ولا تنقضى دونكم الأمور فقام الحباب بن المنذر بن زيد بن حرام رضى الله عنه فقال : يامعشر الأنصار أملكوا على أيديكم فإنما الناس فى فيئكم وظلالكم ولن يجير مجير[2] على خلافكم ولن يصدر الناس إلا عن رأيكم . أنتم أهل العز والثروة وأولو العدد والنجدة وإنما ينظر الناس ماتصنعون فلاتختلفوا فيفسد عليكم رأيكم وتقطعوا أموركم أنتم أهل الايواء وإليكم كانت الهجرة ولكم فى السابقين الاولين مثل مالهم وأنتم أصحاب الدار والإيمان من قبلهم والله ماعبدوا الله علانية إلا فى بلادكم ولاجمعت الصلاة إلا فى مساجدكم

---

(١) افتات عليه فى الأمر إذا حكم دونه .

(٢) فى رواية انا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب أما والله الخ . والجذيل مصغر جذل عود ينصب للجربى وتحتك به وعذيق مصغر عذق قنو النخلة المرجب المعظم .

ولادانت العرب للإسلام إلا بأسيافكم فأنتم أعظم الناس نصيباً في هذا الأمر وإن أبى القوم فمنا أمير ومنهم أمير. فقام عمر رضي الله عنه فقال: هيهات لايجمع سيفان في غمد واحد أنه والله لاترضى العرب أن تؤمركم ونبيها من غيركم ولكن العرب لاينبغي أن تولى هذا الأمر إلا من كانت النبوة فيهم وأولو الأمر منهم. لنا بذلك على من خالفنا من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين من ينازعنا سلطان محمد وميراثه ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مدل بباطل أو متجانف لإثم أو متورط في هلكة فقام الحباب بن المنذر رضي الله عنه فقال: يامعشر الأنصار املكوا على أيديكم ولاتسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر فإن أبوا عليكم ماسألتم فاجلوها عن بلادكم وولوا عليكم وعليهم من أردتم فأنتم والله أولى بهذا الأمر منهم فانه دان لهذا الأمر من يكن يدين له بأسيافنا أما والله وإن شئتم لنعيدنها جذعة والله لايرد على أحد ماأقول إلا حطمت أنفه بالسيف قال وفي رواية لن يجترىء عمر بن الخطاب فلما كان الحباب هو الذى يجيبني لم يكن لى معه كلام لأنه كان بيني وبينه منازعة في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فنهاني فحلفت أن لا أكلمه كلمة تسوءه أبداً. ثم قام أبو عبيدة فقال:

يامعشر الأنصار أنتم أول من نصر وآوى فلا تكونوا أول من يبدل ويغير .

(مخالفة قيس بن سعد)

قال وإن قيساً لما رأى ما اتفق عليه قومه من تأمير سعد بن عبادة قام حسداً لسعد وكان قيس من سادات الخزرج فقال : يامعشر الأنصار لئن كنا أولى الفضيلة فى جهاد المشركين والسابقة فى الدين ماأردنا إن شاءالله غير رضا ربنا وطاعة نبينا والكرم لانفسنا ومايبنغى أن نستطيل بذلك على الناس ولانبتغى به غرضاً من الدنيا فان الله تعالى ولى النعمة والمنة علينا بذلك ثم أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من قريش وقومه أحق بميراثه وتولى سلطانه . وأيم الله لايرانى أنازعهم هذا الأمر أبداً فاتقوا الله ولا تخالفوهم ولا تخادعوهم .

(بيعة أبى بكر الصديق رضى الله عنه)

قال ثم أن أبا بكر قام على الأنصار فحمد الله وأثنى عليه ثم دعاهم إلى الجماعة ونهاهم عن الفرقة وقال إنى ناصح لكم فى أحد هذين الرجلين أبى عبيدة الجراح أو عمر فبايعوا من شئتم منهما .

فقال عمر : معاذ الله أن يكون ذلك وأنت بين أظهرنا أنت أحقنا بهذا الأمر وأقدمنا صحبة لرسول الله صلى عليه وسلم وأفضل منا فى المال وأنت أفضل المهاجرين وثانى إثنين وخليفته على الصلاة والصلاة أفضل أركان دين الإسلام فمن ذا ينبغى أن يتقدمك ويتولى هذا الأمر عليك أبسط يدك أبايعك فلما ذهبا يبايعانه سبقهما إليه قيس الأنصارى فبايعه فناداه الحباب بن المنذر : ياقيس بن سعد عاقك عاق ما اضطرك إلى ماصنعت ؟ حسدت ابن عمك على الامارة ! قال لا والله ولكنى كرهت أن أنازع قوماً حقاً لهم فلما رأت الأوس ما صنع قيس بن سعد وهو من سادات الخزرج وما دعوا إليه المهاجرين من قريش وما تطلب الخزرج من تأمير سعد بن عبادة قال بعضهم لبعض وفيهم أسيد بن حضير رضى الله عنه لئن وليتموها سعداً عليكم مرة واحدة لازالت لهم بذلك عليكم الفضيلة ولا جعلوا لكم نصيباً فيها أبداً فقوموا فبايعوا أبا بكر رضى الله عنه فقاموا إليه فبايعوه فقام الحباب بن المنذر إلى سيفه فأخذه فبادروا إليه فأخذوا سيفه منه فجعل يضرب بثوبه وجوههم حتى فرغوا من البيعة فقال فعلتموها يامعشر الأنصار أما والله لكأنى بأبنائكم على أبواب أبنائهم قد وقفوا يسألونهم بأكفهم ولا يسقون الماء .

قال أبو بكر : أمنا تخاف يا حباب قال ليس منك أخاف ولكن ممن يجيء بعدك . قال أبو بكر فإذا كان ذلك كذلك فالأمر إليك وإلى أصحابك ليس لنا عليكم طاعة . قال الحباب هيهات يا أبا بكر إذا ذهبت أنا وأنت جاءنا بعدك من يسومنا الضيم .

(تخلف سعد بن عبادة رضى الله عنه عن البيعة)

فقال سعد بن عبادة أما والله لو أن لى ما أقدر به على النهوض لسمعتم منى فى أقطارها زئيراً يخرجك أنت وأصحابك ولألحقتك بقوم كنت فيهم تابعا غير متبوع خاملا غير عزيز فبايعه الناس جميعا حتى كادوا يطأون سعداً فقال سعد . قتلتمونى فقيل اقتلوه قتله الله فقال سعد : احملونى من هذا المكان فحملوه فأدخلوه داره وترك أياما . ثم بعث إليه أبو بكر رضى الله عنه أن أقبل فبايع فقد بايع الناس وبايع قومك فقال : أما والله حتى أرميكم بكل سهم فى كنانتى من نبل وأخضب منكم سنانى ورمحى واضربكم بسيفى ما ملكته يدى وأقاتلكم بمن معى من أهلى وعشيرتى ولا والله لو أن الجن اجتمعت لكم مع الإنس ما بايعتكم حتى أعرض على ربى وأعلم حسابى . فلما أتى بذلك أبو بكر من قوله قال عمر : لا تدعه حتى يبايعك فقال لهم

قيس بن سعد أنه قد أبى ولج وليس يبايعك حتى يقتل وليس بمقتول حتى يقتل ولده معه وأهل بيته وعشيرته ولن تقتلوهم حتى تقتل الخزرج ولن تقتل الخزرج حتى تقتل الاوس فلاتفسدوا على أنفسكم أمراً قد استقام لكم فاتركوه فليس تركه بضاركم وإنما هو رجل واحد فتركوه وقبلوا مشورة بشير بن سعد واستنصحوه لما بدا لهم منه فكان سعد لا يصلى بصلاتهم ولا يجمع بجمعتهم ولا يفيض بإفاضتهم ولو يجد عليهم أعوانا لصال بهم ولو يبايعه أحد على قتالهم لقاتلهم فلم يزل كذلك حتى توفى أبو بكر رحمه الله تعالى عنه ، وولى عمر بن الخطاب فخرج إلى الشام فمات بها ولم يبايع لأحد رحمه الله ، وان بنى هاشم اجتمعت عند بيعة الأنصار إلى على بن أبى طالب ومعهم الزبير بن العوام رضى الله عنه وكانت أمه صفية بنت المطلب وإنما كان يعد نفسه من بنى هاشم وكان على كرم الله وجهه يقول مازال الزبير منا حتى نشأ بنوه فصرفوه عنا واجتمعت بنو أمية إلى عثمان واجتمعت بنو زهرة إلى سعد وعبد الرحمن بن عوف فكانوا فى المسجد الشريف مجتمعين . فلما أقبل عليهم أبو بكر وأبو عبيدة وقد بايع الناس أبا بكر قال لهم عمر مالى أراكم مجتمعين حلقا شتى قوموا فبايعوا أبا بكر فقد بايعته وبايعه الأنصار فقام

عثمان بن عفان ومن معه من بنى أمية فبايعوه وقام سعد وعبد الرحمن بن عوف ومن معهما من بنى زهرة فبايعوا . وأما على والعباس بن عبد المطلب ومن معهما من بنى هاشم فانصرفوا إلى رحالهم ومعهم الزبير بن العوام فذهب إليهم عمر فى عصابة فيهم أسيد بن حضير وسلمة بن أشيم فقالوا انطلقوا فبايعوا أبا بكر رضى الله عنه بالسيف فقال عمر رضى الله عنه : عليكم بالرجل فخذوه فوثب عليه سلمة بن أبى أشيم فأخذ السيف من يده فضرب به الجدار وانطلقوا به فبايع وذهب بنو هاشم أيضاً فبايعوا .

(إباية على كرم الله وجهه بيعة أبى بكر رضى الله عنهما)

ثم إن علياً كرم الله وجهه أتى إلى أبى بكر وهو يقول أنا عبد الله أخو رسول الله فقيل له بايع فقال أنا أحق بهذا الأمر منكم لا أبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لى أخذتم هذا الأمر من الأنصار واحتججتم عليهم بالقرابة من النبى صلى الله عليه وسلم وتأخذوه منا أهل البيت غصباً ألستم زعمتم للأنصار أنكم أولى بهذا الأمر منهم لما كان محمد منكم فأعطوكم المقادة وسلموا إليكم الامارة فاذا احتج عليكم بمثل ما احتججتم على الأنصار نحن أولى

برسول الله حياً وميتاً فأنصفونا إن كنتم تؤمنون وإلا فبوءوا بالظلم وأنتم تعلمون فقال له عمر : إنك لست متروكا حتى تبايع فقال له على أحلب حلباً لك شطره وشد له يردده عليك غداً ثم قال : والله ياعمر لا أقبل قولك ولا أبايعه فقال له أبو بكر إن لم تبايع فلا أكرهك فقال عبيدة بن الجراح كرم الله وجهه يا ابن عم إنك حديث السن وهؤلاء مشيخة قومك ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالأمور ولا أرى أبابكر إلا أقوى على هذا الأمر منك وأشد احتمالا واستطلاعاً فسلم لأبى بكر هذا الأمر فانك إن تعش ويطل بك بقاء فأنت لهذا الأمر خليق وحقيق فى فضلك ودينك وعلمك وفهمك وسابقتك ونسبك وصهرك . فقال على كرم الله وجهه : الله الله يامعشر المهاجرين لا تخرجوا سلطان محمد فى العرب من داره وقعر بيته إلى دوركم وقعور بيوتكم وتدفعون أهله عن مقامه فى الناس وحقه فوالله يامعشر المهاجرين لنحن أحق الناس به لانا أهل البيت ونحن أحق بهذا الأمر منكم ما كان فينا القارىء لكتاب الله الفقيه فى دين الله العالم بسنن رسول الله المتطلع لأمر الرعية الدافع عنهم الأمور السيئة القاسم بينهم بالسوية والله انه

لهينا فلا تتبعوا الهوى فتضلوا عن سبيل الله فتزدادوا من الحق بعيداً .
وقال بشير بن سعد الانصارى . لو كان هذا الكلام سمعته الانصار منك يا على قبل بيعتها لأبى بكر ما اختلفت عليك قال :
وخرج على كرم الله وجهه يحمل فاطمة بنت رسول الله ﷺ على دابة ليلا فى مجالس الانصار تسألهم النصرة فكانوا يقولون يا بنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل ولو أن زوجك وابن عمك سبق إلينا قبل أبى بكر ما عدلنا به فيقول على كرم الله وجهه . أفكنت أدع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته لم أدفنه وأخرج أنازع الناس سلطانه ؟ فقالت فاطمة : ما صنع أبو الحسن إلا ما كان ينبغى له ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم .

(كيف كانت بيعة على بن أبى طالب رضى الله عنه)

قال وإن أبا بكر رضى الله عنه تفقد قوما تخلفوا عن بيعته عند على كرم الله وجهه فبعث إليهم عمر فجاء فناداهم وهم فى دار على فأبوا أن يخرجوا فدعا بالحطب وقال . والذى نفس عمر بيده لتخرجن أولا حرقتها على من فيها فقيل له يا أبا حفص إن فيها فاطمة فقال وإن . فخرجوا فبايعوا إلا عليا فإنه زعم أنه

قال حلفت أن لا أخرج ولا أضع ثوبي على عاتقي حتى أجمع القرآن فوقفت فاطمة رضي الله عنها على بابها فقالت . لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم تركتم رسول الله صلى الله عليه وسلم جنازة بين أيدينا وقطعتم أمركم بينكم لم تستأمرونا ولم تردوا لنا حقاً فأتى عمر أبا بكر فقال له . ألا تأخذ هذا المتخلف عنك بالبيعة فقال أبو بكر لقنفذ وهو مولى له . اذهب فادع لي علياً قال فذهب إلى علي فقال له ما حاجتك فقال يدعوك خليفة رسول الله فقال علي . أسريع ما كذبتم على رسول الله فرجع فأبلغ الرسالة قال . فبكى أبو بكر طويلا فقال عمر الثانية أن لا تمهل هذا المتخلف عنك بالبيعة فقال أبو بكر رضي الله عنه لقنفذ . عد إليه فقل له أمير المؤمنين [1] يدعوك لتبايع فجاءه قنفذ فأدى ما أمر به فرفع علي صوته فقال سبحان الله لقد ادعى ما ليس له فرجع قنفذ فأبلغ الرسالة فبكى أبو بكر طويلا . ثم قام عمر فمشى معه جماعة حتى أتوا باب فاطمة فدقوا الباب فلما سمعت أصواتهم نادت بأعلى صوتها . يا أبت يا رسول الله ماذا لقينا

---

(1) في متن هذه الرواية اضطرابات كثيرة منها هذا فقد ثبت من غير وجه أن اول من لقب بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

بعدك من ابن الخطاب وابن أبى قحافة فلما سمع القوم صوتها وبكاءها انصرفوا باكين وكادت قلوبهم تتصدع وأكبادهم تنفطر وبقى عمر ومعه قوم فأخرجوا علياً فمضوا به إلى أبى بكر فقالوا له بايع فقال إن أنا لم أفعل فمه قالوا إذاً والله الذى لا اله إلا هو نضرب عنقك قال إذاً تقتلون عبد الله وأخا رسوله قال عمر . أما عبد الله فنعم وأما أخو رسوله فلا وأبو بكر ساكت لا يتكلم . فقال له عمر ألا تأمر فيه بأمرك فقال . لا أكرهه على شيء ما كانت فاطمة إلى جنبه . فلحق على بقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصيح ويبكى وينادى . يا ابن أم إن القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى فقال عمر لأبى بكر رضى الله عنهما . انطلق بنا إلى فاطمة فانا قد أغضبناها فانطلقا جميعاً فاستأذنا على فاطمة فلم تأذن لهما فأتيا علياً فكلماه فأدخلهما عليها فلما قعدا عندها حولت وجهها إلى الحائط فسلما عليها فلم ترد عليهما السلام فتكلم أبو بكر فقال . ياحبيبة رسول الله والله إن قرابة رسول الله أحب إلى من قرابتى . وانك لأحب إلى من عائشة ابنتى ولوددت يوم مات أبوك أنى مت ولا أبقى بعده . أفتراني أعرفك

وأعرف فضلك وشرفك وأمنعك حقك وميراثك من رسول الله إلا أنى سمعت أباك رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا نورث ماتركنا فهو صدقة . فقالت أرأيتكما إن حدثتكما حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرفانه وتفعلان به قالا نعم فقالت نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رضا فاطمة من رضاى وسخط فاطمة من سخطى فمن أحب فاطمة ابنتى فقد أحبنى ومن أرضى فاطمة فقد أرضانى ومن أسخط فاطمة فقد أسخطنى . قالا نعم سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت . فإنى أشهد الله وملائكته انكما أسخطتمانى وما أرضيتمانى ولئن لقيت النبي لأشكونكما إليه . فقال أبو بكر أنا عائذ بالله تعالى من سخطه وسخطك يا فاطمة ثم انتحب أبو بكر يبكى حتى كادت نفسه أن تزهق وهى تقول والله لأدعون الله عليك فى كل صلاة أصليها ثم خرج باكياً فاجتمع إليه الناس فقال لهم . يبيت كل رجل منكم معانقاً حليلته مسروراً بأهله وتركتمونى وما أنا فيه لا حاجة لى فى بيعتكم أقيلونى بيعتى قالوا يا خليفة رسول الله إن هذا الأمر لا يستقيم وأنت أعلمنا بذلك أنه إن كان هذا لم يقم لله دين فقال . والله لولا ذلك وما أخافه من

رخاوة هذه العروة مابت ليلة ولى فى عنق مسلم بيعة بعد ما سمعت ورأيت من فاطمة قال فلم يبايع على كرم الله وجهه حتى ماتت فاطمة رضى الله عنها ولم تمكث بعد أبيها إلا خمساً وسبعين ليلة قال فلما توفيت أرسل على إلى أبى بكر أن أقبل إلينا فأقبل أبو بكر حتى دخل على على وعنده بنو هاشم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد يا أبا بكر فإنه لم يمنعنا أن نبايعك انكاراً لفضيلتك ولا نفاسة عليك ولكنا كنا نرى أن لنا فى هذا الأمر فاستبددت علينا ثم ذكر على قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزل يذكر ذلك حتى بكى أبو بكر . فقال أبو بكر رضى الله عنه لقرابة رسول الله أحب إلى أن أصل من قرابتى وأنى والله لا أدع أمراً رأيت رسول الله يصنعه إلا صنعته إن شاء الله تعالى فقال على . موعدك غداً فى المسجد الجامع للبيعة إن شاء الله . ثم خرج فأتى المغـــيرة بن شعبة فقال . أترى يا أبا بكر أن تلقوا العباس فتجعلوا له فى هذا الأمر نصيباً يكون له ولعقبه وتكون لكما الحجة على على وبنى هاشم إذا كان العباس معكم قال فانطلق أبو بكر وعمر وأبو عبيدة حتى دخلوا على العباس رضى الله عنه فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه ثم قال

إن الله تعالى بعث محمداً ﷺ نبياً وللمؤمنين ولياً فمن الله تعالى بمقامه بين أظهرنا حتى اختار له الله ما عنده فخلى على الناس أمرهم ليختاروا لأنفسهم فى مصلحتهم متفقين لا مختلفين فاختارونى عليهم والياً ولأمورهم راعياً وما أخاف بحمد الله وهناً ولا حيرة ولا جبناً وما توفيقى إلا بالله العلى العظيم عليه توكلت وإليه أنيب وما زال يبلغنى عن طاعن يطعن بخلاف ما اجتمعت عليه عامة المسلمين ويتخذونكم لحافاً فاحذروا أن تكونوا جهد المنيع فإما دخلتم فيما دخل فيه العامة أو دفعتموهم عما مالوا إليه وقد جئناك ونحن نريد أن نجعل لك فى هذا الأمر نصيباً يكون لك ولعقبك من بعدك إذ كنت عم رسول الله وإن كان الناس قد رأوا مكانك ومكان أصحابك فعدلوا الأمر عنكم على رسلكم بنى عبد المطلب فإن رسول الله منا ومنكم . ثم قال عمر أى والله وأخرى أنا لم نأتكم حاجة منا إليكم ولكنا كرهنا أن يكون الطعن منكم فيما اجتمع عليه العامة فيتفاقم الخطب بكم وبهم فانظروا لأنفسكم ولعامتكم فتكلم العباس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال . إن الله بعث محمداً كما زعمت نبياً وللمؤمنين ولياً فمن الله بمقامه بين أظهرنا حتى اختار له ما عنده فخلى على الناس أمرهم ليختاروا لأنفسهم مصيبين

للحق لا مائلين عنه بزيغ الهوى، فإن كنت برسول الله طلبت فحقنا أخذت وإن كنت بالمؤمنين طلبت فنحن منهم متقدمون فيهم وإن كان هذا الأمر إنما يجب لك بالمؤمنين فما وجب إذ كنا كارهين فإما ما بذلت لنا فان يكن حقاً لك فلا حاجة لنا فيه وإن يكن حقاً للمؤمنين فليس لك أن تحكم عليهم وإن كان حقنا لم نرض عنك فيه ببعض دون بعض وأما قولك إن رسول الله منا ومنكم فانه قد كان من شجرة نحن أغصانها وأنتم جيرانها . قال ثم خرج أبو بكر إلى المسجد الشريف فأقبل على الناس فعذر علياً بمثل ما اعتذر عنده ثم قام على فعظم حق أبى بكر وذكر فضيلته وسابقته ثم مضى فبايعه فأقبل الناس على على فقالوا أصبت يا أبا الحسن وأحسنت . قال فلما تمت البيعة لأبى بكر أقام ثلاثة أيام يقبل الناس ويستقيلهم يقول قد أقلتكم فى بيعتى هل من كاره هل من مبغض فيقوم على فى أول الناس فيقول والله لا نقيلك ولا نستقيلك أبداً قد قدمك رسول الله صلى الله عليه وسلم لتوحيد ديننا من ذا الذى يؤخرك لتوجيه دنيانا .

(خطبة أبى بكر الصديق رضى الله عنه)

قال ثم إن أبا بكر قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أيها الناس إن الله الجليل الكريم العليم الحكيم الرحيم الحليم بعث محمداً بالحق وأنتم معشر العرب كما قد علمتم من الضلالة والفرقة ألف بين قلوبكم ونصركم به وأيدكم ومكن لكم دينكم وأورثكم سيرته الراشدة المهدية فعليكم بحسن الهدى ولزوم الطاعة وقد استخلف الله عليكم خليفة ليجمع به ألفتكم ويقيم به كلمتكم فأعينونى على ذلك بخير ولم أكن لأبسط يداً ولا لساناً على من لم يستحل ذلك إن شاء الله وأيم الله ما حرصت عليها ليلا ولا نهاراً ولا سألتها الله قط فى سر ولا علانية ولقد قلدت أمراً عظيما مالى به طاقة ولا يد ولوددت أنى وجدت أقوى الناس عليه مكانى فأطيعونى ما أطعت الله . فإذا عصيت الله فلا طاعة لى عليكم ، ثم بكى وقال أعلموا أيها الناس إنى لم أجعل لهذا المكان أن أكون خيركم ولوددت إن بعضكم كفانيه ولئن أخذتمونى بما كان الله يقيم به رسوله من الوحى ما كان ذلك عندى وما أنا إلا كأحدكم فاذا رأيتمونى قد استقمت فاتبعونى وإن زغت فقومونى واعلموا إن لى شيطاناً يعترينى أحياناً فاذا رأيتمونى غضبت فاجتنبونى لا أوثر بأشعاركم وأبشاركم ثم نزل . ثم دعا عمر والأوجاه من أصحاب رسول الله

صلى الله عليه وسلم فقال ماترون لى من هذا المال فقال عمر أنا والله أخبرك مالك منه أما ما كان لك من ولد قد بان عنك وملك أمره فسهمه كرجل من المسلمين وأما ما كان من عيالك وضعفة أهلك فتقوت منه بالمعروف وقوت أهلك . فقال ياعمر . إنى لأخشى أن لا يحل لى أن أطعم عيالى من فىء المسلمين فقال عمر . يا خليفة رسول الله إنك قد شغلت بهذا الامر عن أن تكسب لعيالك قال ولما تمت البيعة لأبى بكر واستقام له الأمر اشرأب النفاق بالمدينة وارتدت العرب فنصب لهم أبو بكر الحرب وأراد قتالهم فقالوا نصلى ولا نؤدى الزكاة فقال الناس أقبل منهم يا خليفة رسول الله فان العهد حديث والعرب كثير ونحن شرذمة قليلون لا طاقة لنا بالعرب مع أنا قد سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله فقال أبو بكر هذا من حقها لا بد من القتال فقال الناس لعمر اخل به فكلمه لعله يرجع عن رأيه هذا فيقبل منهم الصلاة ويعفيهم من الزكاة فخلا به عمر نهاره أجمع فقال والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم عليه ولو لم أجد

حداً أقاتلهم أ به لقاتلتهم وحدى حتى يحكم الله بينى وبينهم وهو خير الحاكمين وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول . أمرت أن أقاتل الناس على ثلاث شهادة أن لا إله إلا الله وأقام الصلاة وايتاء الزكاة فو الله الذى لا إله إلا هو لا أقصر دونهن فضرب منهم من أدبر بمن أقبل حتى دخل الناس فى الإسلام طوعاً وكرهاً وحمدوا رأيه وعرفوا فضله ، قال أبو رجاء العطاردى رأيت الناس مجتمعين وعمر يقبل رأس أبى بكر ويقول أنا فداؤك لولا أنت لهلكنا فحمد له رأيه فى قتال أهل الردة .

(مرض أبى بكر واستخلافه عمراً رضى الله عنهما)

قال ثم إن أبا بكر عمل سنتين وشهوراً ثم مرض مرضه الذى مات فيه فدخل عليه أناس من أصحاب النبى عليه السلام فيهم عبد الرحمن بن عوف فقال له : كيف أصبحت يا خليفة رسول الله فانى أرجو أن تكون بارئاً قال أترى ذلك ؟ قال نعم قال أبو بكر . والله إنى لشديد الوجع ولما ألقى منكم يامعشر المهاجرين أشد على من وجعى إنى وليت أمركم ولست خيركم فى نفسى

فكلكم ورم أنفه[1] إرادة أن يكون هذا الأمر له وذلك لما رأيتم الدنيا قد أقبلت أما والله لتتخذن نضائد[2] الديباج وستور الحرير ولتألمن النوم على الصوف الأذربي كما يألم أحدكم النوم على حسك السعدان والله لئن يقدم أحدكم فتضرب عنقه فى غير حدث خير له من أن يخوض غمرات الدنيا فقال له عبد الرحمن بن عوف خفض عليك من هذا يرحمك الله فإن هذا يهيضك على ما بك وإنما الناس رجلان رجل رضى ما صنعت فرأيه كرأيك ورجل كره ما صنعت فأشار عليك برأيه ما رأينا من صاحبك الذى وليت إلا خيراً وما زلت صالحاً مصلحاً ولا أراك تأسى على شيء من الدنيا فاتك قال: أجل والله ما آسى إلا على ثلاث فعلتهن ليتنى كنت تركتهن ليتنى فعلتهن وثلاث ليتنى سألت رسول الله عنهن فأما اللاتى فعلتهن وليتنى لم أفعلهن فليتنى تركت بيت على وإن كان أعلن على الحرب وليتنى يوم سقيفة بنى ساعدة كنت ضربت على يد أحد الرجلين أبى عبيدة أو عمر فكان هو الأمير وكنت أنا الوزير وليتنى حين أتيت

---

(١) ورم انفه اى امتلأ غضبا قال الشاعر . ولا يهاج اذا ما انفه ورماء اى لا يكلم عند الغضب (٢) نضائد الديباج واحدتها نضيدة وهي الوسادة

بالفجاءة السلمى أسيراً إنى قتلته ذبحاً أو أطلقته نجيحاً ولم أكن أحرقته بالنار وأما اللاتى تركتهن وليتنى كنت فعلتهن حين أتيت بالأشعث بن قيس أسيراً إنى قتلته ولم أستحيه فإنى سمعت منه وأراه لا يرى غياً ولا شراً إلا أعان عليه وليتنى حين بعثت خالد بن الوليد إلى الشام إنى كنت بعثت عمر بن الخطاب إلى العراق فأكون قد بسطت يدى جميعاً فى سبيل الله وأما اللاتى كنت أود أنى سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهن فليتنى سألته لمن هذا الأمر من بعده فلا ينازعه فيه أحد وليتنى كنت سألته هل للانصار فيها من حق وليتنى كنت سألته عن ميراث بنت الأخ والعمة فإن فى نفسى من ذاك شيئاً ثم دخل عليه أناس من أصحاب رسول الله فقالوا يا خليفة رسول الله ألا ندعوا لك طبيباً ينظر إليك فقال قد نظر إلى قالوا فماذا قال ؟ قال إنى فعال لما أريد ثم قال لهم أنظروا ماذا أنفقت من بيت المال فنظروا فإذا هو ثمانية آلاف درهم فأوصى أهله أن يؤدوها إلى الخليفة بعده ثم دعا عثمان بن عفان فقال اكتب عهدى فكتب عثمان وأملى عليه . بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد به أبو بكر بن أبى قحافة آخر عهده فى الدنيا نازحاً عنها وأول عهده بالآخرة داخلا فيها أنى استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فإن تروه عدلا

يكم فذلك ظنى به ورجائى فيه وإن بدل وغير فالخير أردت ولا أعلم الغيب وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون . ثم ختم الكتاب ودفعه ودخل عليه المهاجرون والأنصار حين بلغهم أنه استخلف عمر فقالوا نراك استخلفت علينا عمر وقد عرفته وعلمت بوائقه فينا وأنت بين أظهرنا فكيف إذا وليت عنا وأنت لاق الله عز وجل فسائلك فما أنت قائل ؟ فقال أبو بكر لئن سألنى الله لأقولن استخلفت عليهم خيرهم فى نفسى قال ثم أمر أن تجتمع له الناس فاجتمعوا فقال .أيها الناس قدحضرنى من قضاء الله ماترون وإنه لا بد لكم من رجل يلى أمركم ويصلى بكم ويقاتل عدوكم فيأمركم فان شئتم اجتمعتم فأتمرتم ثم وليتم عليكم من اردتم وإن شئتم اجتهدت لكم رأيى ووالله الذى لا إله إلا هو لا آلوكم فى نفسى خيراً قال فبكى وبكى الناس وقالوا يا خليفة رسول الله أنت خيرنا وأعلمنا فاخترلنا قال سأجتهد لكم رأيى وأختار لكم خيركم إن شاء . قال فخرجوا من عنده ثم أرسل إلى عمر فقال . يا عمر أحبك محب وأبغضك مبغض وقديماً يحب الشر ويبغض الخير فقال عمر . لا حاجة لى بها فقال أبو بكر . لكن بها إليك حاجة والله ما حبوتك بها ولكن حبوتها بك ثم قال خذ هذا الكتاب وأخرج به إلى الناس وأخبرهم إنه عهدى وسلهم عن سمعهم

وطاعتهم . فخرج عمر بالكتاب وأعلمهم فقالوا سمعا وطاعة فقال له رجل ما فى الكتاب يا أبا حفص قال لا أدرى ولكنى أول من سمع وأطاع قال لكنى والله أدرى ما فيه أمرته عام أول وأمرك العام .

* (ولاية عمر بن الخطاب رضى الله عنه) *

قال ولما توفى أبو بكر وولى عمر قعد فى المسجد مقعد الخلافة أتاه رجل فقال يا أمير المؤمنين أدنو منك فان لى حاجة قال عمر لا قال الرجل إذاً أذهب فيغنينى الله عنك فولى ذاهبا فاتبعه عمر ببصره ثم قال فأخذه بثوبه فقال له ما حاجتك فقال الرجل بغضك الناس وكرهك الناس قال عمر ولما ويحك فقال الرجل للسانك وعصاك قال فرفع عمر يديه فقال : اللهم حببهم إلى وحببنى إليهم . قال الرجل فما وضع يديه حتى ما على الأرض أحب إلى منه وكان أهل الشام قد بلغهم مرض أبى بكر واستبطأوا الخبر فقالوا أنا لنخاف أن يكون خليفة رسول الله قد مات وولى بعده عمر فان كان عمر هو الوالى فليس لنا بصاحب وأنا نرى خلعه قال بعضهم فابعثوا رجلا ترضون عقله قال فانتخبوا لذلك رجلا فقدم على عمر وقد كان عمر استبطأ خبر

أهل الشام فلما أتاه قال له كيف الناس قال سالمون صالحون وهم كارهون لولايتك ومن شرك مشفقون فأرملونى أنظر أحلوأنت أم مر قال فرفع عمر يديه إلى السماء وقال اللهم حببنى إلى الناس وحببهم إلى قال فعمل عمر عشر سنين بعد أبى بكر فوالله ما فارق الدنيا حتى أحب ولايته من كرهها لقد كانت أمارته فتحا وإسلامه عزا ونصراً اتبع فى عمله سنة صاحبيه وآثارهما كما يتبع الفصيل أثر أمه ثم اختار الله له ما عنده .

قتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه

قال عمرو بن ميمون . شهدت عمر بن الخطاب يوم طعن فما منعنى أن أكون فى الصف الاول إلا هيبته فكنت فى الصف الذى يليه وكان عمر لا يكبر حتى يستقبل الصف المتقدم بوجهه فان رأى رجلا متقدماً من الصف أو متأخراً ضربه بالدرة فذلك الذى منعنى من التقدم قال فأقبل لصلاة الصبح وكان يغلس بها فعرض له أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة فطعنه ثلاث طعنات فسمعت عمر وهو يقول دونكم الكلب فانه قد قتلنى وماج الناس فجرح ثلاثة عشر رجلا وصاح بعضهم ببعض دونكم الكلب

فشد عليه رجل من خلفه فاحتضنه وماج الناس فقال قائل الصلاة عباد الله طلعت الشمس فدفعت عبد الرحمن بن عوف فصلى بأقصر سورتين فى القرآن واحتمل عمر ومات من الذين جرحوا ستة أو سبعة وجرى الناس إلى عمر فقال يا بن عباس أخرج فناد فى الناس أعن ملأ ورضى منهم كان هذا فخرج فنادى فقالوا معاذ الله ما علمنا ولا أطلعنا قال فأتاه الطبيب فقال أى الشراب أحب إليك قال النبيذ فسقوه نبيذاً فخرج من بعض طعناته فقال الناس صديد اسقوه لبناً فخرج اللبن فقال الطبيب لا أرى أن تمسى فما كنت فاعلا فأفعل فقال لابنه عبد الله ناولنى الكتف (١) فلو أراد الله أن يمضى ما فيه أمضاه فمحاها بيده وكان فيها فريضة الجد. ثم دخل عليه كعب الأحبار فقال يا أمير المؤمنين الحق من ربك فلا تكونن من الممترين قد كنت أنبأتك أنك شهيد قال ومن أين لى بالشهادة وأنا بجزيرة العرب . ثم جعل الناس يثنون عليه ويذكرون فضله فقال إن من غررتموه لمغرور إنى والله وددت أن أخرج منها كفافا كما دخلت فيها والله لو كان لى اليوم ما طلعت عليه الشمس لافتديت به من هول المطلع فقالوا

---

(١) يريد ما يكتب فيه العهد او الوصية

يا أمير المؤمنين لا بأس عليك فقال إن يكن القتل بأسا فقد قتلني أبو لؤلؤة قالوا فان يكن ذلك فجزاك الله عنا خيراً فقال لا أراكم تغبطوني بها فو الذى نفس عمر بيده ما أدرى على ما أهجم ولوددت إنى نجوت منها كفافا لا لى ولا على فيكون خيرها بشرها ويسلم لى ما كان قبلها من الخير ودخل على ابن أبي طالب فقال يا على أعن ملأ منكم ورضى كان هذا فقال على ما كان من ملأ منا ولا رضى ولوددنا أن الله زاد من أعمارنا فى عمرك. قال وكان رأسه فى حجر ابنه عبد الله فقال له ضع خدى بالأرض فلم يفعل فلحظه وقال ضع خدى بالأرض لا أم لك فوضع خده بالأرض فقال الويل لعمر ولام عمر إن لم يغفر الله لعمر ثم دعا عبد الله ابن عباس وكان يحبه ويدنيه ويسمع منه فقال له . يا بن عباس إنى لا أظن إن لى ذنبا ولكن أحب أن تعلم لى أعن ملأ منهم ورضى كان هذا فخرج ابن عباس فجعل لا يرى ملأ من الناس إلا وهم يبكون كأنما فقدوا اليوم أنصارهم فرجع إليه فأخبره بما رأى قال فمن قتلنى قال أبو لؤلؤة المجوسى غلام المغيرة بن شعبة قال عبدالله فرأيت البشر فى وجهه فقال الحمدلله الذى لم يقتلنى رجل يحاجنى بلا إله إلا الله يوم القيامة ثم قال يا عبد الله إلا لو أن لى ما طلعت عليه الشمس وما غربت لافتديت به من هول

المطلع وما ذاك والحمد لله أن أكون رأيت إلا خيراً فقال له ابن عباس فان يك ذاك يا أمير المؤمنين فجزاك الله عنا خيراً أليس قد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إن يعز الله بك الدين والمسلمون محتسبون بمكة فلما اسلمت كان إسلامك عزاً أعز الله به الاسلام وظهر النبي وأصحابه ثم هاجرت إلى المدينة فكانت هجرتك فتحا ثم لم تغب عن مشهد شهده رسول الله من قتال المشركين وقال فيك رسول الله عليه وسلم يوم كذا وكذا ثم قبض رسول الله وهو عنك راض ثم ارتد الناس بعد رسول الله عن الاسلام فوازرت الخليفة على منهاج رسول الله وضربتم من أدبر بمن أقبل حتى دخل الناس فى الاسلام طوعاً وكرها ثم قبض الخليفة وهو عنك راض ثم وليت بخير على ما يلى أحد من الناس . مصر الله بك الأمصار وجبى بك الأموال ونفى بك العدو وأدخل الله على أهل كل بيت من المسلمين توسعة فى دينهم وتوسعة فى أرزاقهم ثم ختم الله لك بالشهادة فهنيئاً لك فصب الله الثناء عليك صباً فقال أتشهد لى بهذا يا عبد الله عند الله يوم القيامة قال نعم فقال عمر اللهم لك الحمد .

(تولية عمر بن الخطاب الستة الشورى وعهده إليهم)

قال ثم إن المهاجرين دخلوا على عمر رضى الله عنه وهو فى البيت من جراحه تلك فقالوا يا أمير المؤمنين استخلف علينا قال والله لا أحملكم حياً وميتاً ثم قال إن استخلفت فقد استخلف من هو خير منى يعنى أبا بكر وإن ادع فقد ودع من هو خير من يعنى النبى عليه السلام فقالوا جزاك الله خيراً يا أمير المؤمنين فقال ما شاء الله راغبا وددت أن أنجو منها لا لى ولا على فلما أحس بالموت قال لابنه اذهب إلى عائشة وأقرئها منى السلام واستأذنها إن أقبر فى بيتها مع رسول الله ومع أبى بكر فأتاها عبد الله بن عمر فاعلمها فقالت نعم وكرامة ثم قالت يا بنى أبلغ عمر سلامى وقال له لا تدع أمة محمد بلا راع استخلف عليهم ولا تدعهم بعدك هملا فإنى أخشى عليهم الفتنة فأتى عبد الله فأعلمه فقال ومن تأمرنى إن استخلف لو أدركت أبا عبيدة بن الجراح باقياً استخلفه ووليته فادا قدمت على ربى فسألنى وقال لى من وليت على أمة محمد قلت أى رب سمعت عبدك ونبيك يقول لكل أمة أمين وأمين هذه الامة أبو عبيدة بن الجراح ولو أدركت معاذ بن جبل استخلفته فاذا قدمت على ربى فسألنى من وليت

على أمة محمد قلت أى رب سمعت عبدك ونبيك يقول: ان معاذ بن جبل يأتى بين يدى العلماء يوم القيامة ولو أدركت خالد بن الوليد لوليته فاذا قدمت على ربى فسألنى من وليت على أمة محمد قلت أى رب سمعت عبدك ونبيك يقول: خالد بن الوليد سيف من سيوف الله سله على المشركين ولكنى سأستخلف النفر الذين توفى رسول الله وهو عنهم راض فأرسل اليهم فجمعهم وهم على بن أبى طالب وعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وسعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن عوف رضوان الله عليهم وكان طلحة غائبا فقال : يا معشر المهاجرين الأولين إنى نظرت فى أمر الناس فلم أجد فيهم شقاقاً ولا نفاقاً فان يكن بعدى شقاق ونفاق فهو فيكم تشاوروا ثلاثة ايام فان جاءكم طلحة إلى ذلك والا فاعزم عليكم بالله أن لا تتفرقوا من اليوم الثالث حتى تستخلفوا أحدكم فان اشرتم بها الى طلحة فهو لها أهل وليصل بكم صوب هذه الثلاثة أيام التى تتشاورون فيها فانه رجل من الموالى لا ينازعكم أمركم واحضروا معكم من شيوخ الانصار وليس لهم من أمركم شىء واحضروا معكم الحسن بن على وعبد الله بن عباس فان لهما قرابة وأرجو لكم البركة فى حضورهما وليس لهما من أمركم شىء ويحضر

ابنى عبد الله مستشارا وليس له من الأمر شيء. قالوا يا أمير المؤمنين ان فيه للخلافة موضعاً فاستخلفه فانا راضون به فقال : حسب آل الخطاب تحمل رجل منهم الخلافة ليس له من الأمر شيء ثم قال ياعبد الله اياك ثم اياك لا تتلبس بها ثم قال ان استقام أمر خمسة منكم وخالف واحد فاضربوا عنقه وان استقام أربعة واختلف اثنان فاضربوا أعناقهما وان اختلف ثلاثة فاحتكموا إلى ابنى عبد الله فلاى الثلاثة قضى فالخليفة منهم وفيهم فان أبى الثلاثة الآخرون ذلك فاضربوا أعناقهم . فقالوا قل فينا يا أمير المؤمنين مقالة نستدل فيها برأيك ونقتدى به فقال والله ما يمنعنى أن أستخلفك ياسعد إلا شدتك وغلظتك مع أنك رجل حرب وما يمنعني منك ياعبد الرحمن إلا أنك فرعون هذه الأمة وما يمنعنى منك يا زبير إلا أنك مؤمن الرضا كافر الغضب وما يمنعنى من طلحة إلا نخوته وكبره ولو وليها وضع خاتمه فى أصبع امرأته وما يمنعنى منك يا عثمان إلا عصبيتك وحبك قومك وأهلك وما يمنعنى منك يا على إلا حرصك عليها وانك أحرى القوم أن وليتها أن تقيم على الحق المبين . والصراط المستقيم. أوصي الخليفة منكم بتقوى الله العظيم وأحذره مثل مضجعى هذا وأخوفه يوما تبيض فيه وجوه وتسود وجوه يوم تعرضون على الله لا تخفى منكم خافية ثم غشى عليه

حتى ظنوا أنه قد قضى فجعلوا ينادونه ولا يفيق من إغمائه فقال قائل إن كان شئ ينبه فالصلاة فقالوا : يا أمير المؤمنين الصلاة ففتح عينيه فقال : الصلاة هاأناذا ولاحظ في الاسلام لمن ترك الصلاة فصلى وجرحه يثعب دما ثم التفت إليهم وقال قد قومت لكم الطريق فلا تعرجوه ثم التفت إلى على بن أبي طالب. فقال : لعل هؤلاء القوم يعرفون لك حقك وقرابتك وشرفك من رسول الله وما آتاك الله من العلم والفقه والدين فيستخلفونك فان وليت هذا الأمر فاتق الله ياعلى فيه ولا تحمل أحداً من بنى هاشم على رقاب الناس ثم التفت الى عثمان فقال: ياعثمان لعل هؤلاء القوم يعرفون لك صهرك من رسول الله وسنك وشرفك وسابقتك فيستخلفونك فان وليت هذا الأمر فلا تجعل أحداً من بنى أمية على رقاب الناس ثم دعا صهيباً فقال: ياصهيب صل بالناس ثلاثة أيام ويجتمع هؤلاء النفر ويتشاورون بينهم أخرجوا عنى ، اللهم الفهم واجمعهم على الحق ولا تردهم على أعقابهم وول أمر أمة محمد خيرهم فخرجوا من عنده . وتوفى رحمه الله تعالى من يومه ذلك ودفن وصلى عليه صهيب .

(ذكرى الشورى وبيعة عثمان بن عفان رضى الله عنه)

ثم ان بعد موت عمر اجتمع القوم فخلوا فى بيت أحدهم وأحضروا عبد الله بن عباس والحسن بن على وعبد الله بن عمر فتشاوروا ثلاثة أيام فلم يبرموا فلما كان فى اليوم الثالث قال لهم عبد الرحمن بن عوف أتدرون أى يوم هذا ؟ هذا يوم عزم عليكم صاحبكم أن لا تتفرقوا فيه حتى تستخلفوا أحدكم قالوا أجل قال فانى عارض عليكم أمراً قالوا وما تعرض قال أن تولونى أمركم وأهب لكم نصيبى فيها وأختار لكم من أنفسكم قالوا قد أعطيناك الذى سألت . فلما سلم القوم قال لهم عبد الرحمن اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم فجعل الزبير أمره إلى على وجعل طلحة أمره إلى عثمان وجعل سعد أمره إلى عبد الرحمن بن عوف. قال المسور بن مخرمة فقال لهم عبد الرحمن كونوا مكانكم حتى آتيكم وخرج يتلقى الناس فى أنقاب المدينة ملثما لا يعرفه أحد فما ترك أحداً من المهاجرين والانصار وغيرهم من ضعفاء الناس ورعاعهم إلا سألهم واستشارهم . أما أهل الرأى فأتاهم مستشيراً وتلقى غيرهم سائلا يقول . من ترى الخليفة بعد عمر ؟ فلم يلق أحداً يستشيره ولا يسأله إلا ويقول عثمان فلما رأى اتفاق الناس واجتماعهم على عثمان قال المسور جاءنى رضى الله عنه عشاء فوجدنى نائماً فخرجت

إليه فقال . ألا أراك نائماً فو الله ما أكتحلت عيني بنوم منذ هذه الثلاثة ادع لي فلانا وفلانا (نفراً من المهاجرين) فدعوتهم له فناجاهم في المسجد طويلا ثم قاموا من عنده فخرجوا ثم دعا علياً فناجاه طويلا ثم قام من عنده على طمع ثم قال ادع لي عثمان فدعوته فناجاه طويلا حتى فرق بينهما أن آنت صلاة الصبح فلما صلوا جميعهم فأخذ على كل واحد منهم العهد والميثاق لئن بايعتك لتقيمن لنـــا كتاب الله وسنة رسوله وسنة صاحبيك من قبلك فأعطاه كل واحد منهم العهد والميثاق على ذلك وأيضا لئن بايعت غيرك لترضين ولتسلمن وليكونن سيفك معي على من أبى فأعطوه ذلك من عهودهم ومواثيقهم. فلما تم ذلك أخذ بيد عثمان فقال له عليك عهد الله وميثاقه لئن بايعتك لتقيمن لنا كتاب الله وسنة رسوله وسنة صاحبيك وشرط عمر أن لا تجعل أحداً من بني أمية على رقاب الناس فقال عثمان نعم ثم أخذ بيد علي فقال له . أبايعك على شرط عمر أن لا تجعل أحداً من بني هاشم على رقاب الناس . فقال علي عند ذلك مالك ولهذا إذا قطعتها في عنقي فإن علي الاجتهاد لأمة محمد حيث علمت القوة والأمانة استعنت بها كان في بني هاشم أو غيرهم . قال عبد الرحمن : لا والله حتى تعطيني هذا الشرط قال علي والله لا أعطيكه أبداً فتركه فقاموا

من عنده فخرج عبد الرحمن إلى المسجد فجمع الناس فحمد الله وأثنى
عليه ثم قال : إنى نظرت فى أمر الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان
فلا تجعل يا على سبيلا إلى نفسك فانه السيف لاغير ثم أخذ بيد
عثمان فبايعه وبايع الناس جميعاً ، قال فكأن عثمان رضى الله عنه
ست سنين فى ولايته وهو أحب إلى الناس من عمر بن الخطاب رضى
الله عنه وكان عمر رجلا شديداً قد ضيق على قريش أنفاسها لم ينل
أحد معه من الدنيا شيئاً اعظاماً له وإجلالا وتأسياً به واقتداء
فلما وليهم عثمان ولى رجل لين قال الحسن البصرى : شهدت عثمان
وهو يخطب وأنا يومئذ قد راهقت الحلم فما رأيت قط ذكراً
ولا أنثى أصبح وجها ولا أحسن نضرة منه فسمعته يقول أيها الناس
أغدوا على اعطياتكم فيأخذونها وافية أيها الناس أغدوا على
كسوتكم فيغدون فيجاء بالحلل فتقسم بينهم حتى والله سمعت
أذناى يا معشر المسلمين أغدوا على السمن والعسل فيغدون
فيقسم بينهم السمن والعسل ثم يقول يا معشر المسلمين اغدوا
على الطيب فيغدون فيقسم بينهم الطيب من المسك والعنبر
وغيره : والعدوان والله منفى والاعطيات دارة والخير كثير وما على
الارض مؤمن يخاف مؤمنا من لقى فى أى البلدان فهو أخوه
وأليفه وناصره ومؤدبه فلم يزل المال متوفراً حتى لقد بيعت الجارية

بوزنها ورقا وبيع الفرس بعشرة آلاف دينار وبيع البعير بألف والنخلة الواحدة بألف ثم أنكر الناس على عثمان أشياء أشراً وبطراً قال ابن عمر لقد عيبت عليه أشياء لو فعلها عمر ما عيبت عليه.

(ذكر الانكار على عثمان رضى الله عنه)

قال عبد الله بن مسلم حدثنا ابن أبي مريم وابن عفير قالا حدثنا ابن عون قال أخبرنا المخول بن إبراهيم وأبو حمزة الثمالى وبعضهم يزيد على بعض والمعنى واحد لجمعته وألفته على قولهم ومعنى ما أرادوا عن على ابن الحسين قال : لما أنكر الناس على عثمان بن عفان صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فان لكل شيء آفة ولكل نعمة عاهة وأن آفة هذا الدين وعاهة هذه الملة. قوم عيابون طعانون يرونكم ما تحبون ويسرون ما تكرهون أما والله يامعشر المهاجرين والانصار لقد عبتم على أشياء ونقمتم أموراً قد أقررتم لابن الخطاب مثلها ولكنه وقمكم وقمعكم ولم يجترىء أحد يملأ بصره منه ولا يشير بطرفه إليه. أما والله لانا أكثر من ابن الخطاب عدداً وأقرب ناصراً وأجدره إلى أن قال لهم أتفقدون من حقوقكم شيئاً فما لى لا أفعل فى الفضل ما أريد فلو كنت اماماً إذاً. أما والله ما عاب على من عاب منكم أمراً أجهله ولا أتيت الذى أتيت إلا وأنا أعرفه.

قال وقدم معاوية ابن أبي سفيان على أثر ذلك من الشام فأتى مجلساً فيه على بن أبي طالب وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وسعد بن أبي قاص وعبد الرحمن بن عوف وعمار بن ياسر فقال لهم يا معشر الصحابة أوصيكم بشيخي هذا خيراً فوالله لئن قتل بين أظهركم لا ملأنها عليكم خيلا ورجالا ثم أقبل على عمار بن ياسر: فقال: يا عمار إن بالشام مائة ألف فارس كل يأخذ العطا مع مثلهم من أبنائهم وعبدانهم لا يعرفون علياً ولا قرابته ولا عماراً ولا سابقته ولا الزبير ولا صحابته ولا طلحة ولا هجرته ولا يهابون ابن عوف ولا ماله ولا يتقون سعداً ولا دعوته فاياك يا عمار أن تقع غداً فى فتنة تنجلى فيقال هذا قاتل عثمان وهذا قاتل على. ثم أقبل على ابن عباس فقال: يابن عباس أنا كنا وأياكم فى زمان لا نرجو فيه ثواباً ولا نخاف عقاباً وكنا اكثر منكم فوالله ما ظلمناكم ولا قهرناكم ولا أخرناكم عن مقام تقدمناه حتى بعث الله رسوله منكم فسبق إليه صاحبكم فوالله ما زال يكره شركنا ويتغافل به عنا حتى ولى الأمر علينا وعليكم ثم صار الأمر إلينا وإليكم فأخذ صاحبنا على صاحبكم لسنه ثم غير فنطق ونطق على لسانه فقد أوقدتم ناراً لا تطفأ بالماء فقال ابن عباس كنا كما ذكرت حتى بعث الله رسوله منا ومنكم ثم ولى الأمر علينا وعليكم

ثم صار الأمر إلينا وإليكم فأخذ صاحبكم على صاحبنا لسنه ولما هو أفضل من سنه فوالله ما قلنا إلا ما قال غيرنا ولا نطقنا إلا بما نطق به سوانا فتركتم الناس جانباً وصيرتمونا بين أن أقنا متهمين أو نزعنا معتبين وصاحبنا من قد علمتم والله لا يهجهج مهجهج إلا ركبه ولا يرد حوضاً إلا أفرطه وقد أصبحت أحب منك ما أحببت وأكره ما كرهت ولعلى لا ألقاك إلا فى خير .

(ذكر القول والمجادلة لعثمان ومعاوية رضى الله عنهما)

قال وذكروا أن ابن عباس قال خرجت إلى المسجد فأنى لجالس فيه مع على حين صليت العصر إذ جاء رسول عثمان يدعو علياً فقال على نعم ، فلما إن ولى الرسول أقبل على فقال : لم تراه دعانى قلت له دعاك ليكلمك فقال أنطق معى فأقبلت فإذا طلحة والزبير وسعد وأناس من المهاجرين فجلسنا فاذا عثمان عليه ثوبان أبيضان فسكت القوم ونظر بعضهم إلى بعض فحمد الله عثمان ثم قال : أما بعد فان ابن عمى معاوية هذا قد كان غائبا عنكم وعن ما نلتم منى وما عاتبتكم عليه وعاتبتمونى وقد سألنى أن يكلمكم وأن يكلمه من أراد فقال سعد بن أبى وقاص : وما عسى أن يقال لمعاوية أو يقول إلا ما قلت أو قيل لك فقال على ذلكم تكلم يا معاوية فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد يا معشر

المهاجرين وبقية الشورى ، فاياكم أعنى وأياكم أريد فن أجابنى بشىء فبكم واحد فانى لم أرد غيركم . توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايع الناس أحد المهاجرين التسعة ثم دفنوا نبيهم فأصبحوا امالما أمرهم كأن نبيهم بين أظهرهم فلما أنس الرجل من نفسه بايع رجلا من بعده أحـــد المهاجرين فلما احتضر ذلك الرجل شك فى واحد أن يختاره فجعلها فى ستة نفر بقية المهاجرين فأخذوا رجلا منهم لا يألون عن الخير فيه فبايعوه وهم ينظرون إلى الذى هو كائن من بعده لا يشكون ولا يمترون . مهلا مهلا معشر المهاجرين فان وراءكم من أن دفعتموه اليوم أندفع عنكم ومن أن فعلتم الذى أنتم فاعلوه دفعكم بأشد من ركنكم وأعدمن جمعكم ثم استن عليكم بسنتكم ورأى أن دم الباقى ليس بممتنع بعد دم الماضى فسددوا وأرفقوا لا يغلبكم على أمركم من حذرتكم . فقال على بن أبى طالب كأنك تريد نفسك يا بن اللخناء لست هنالك فقال معاوية مهلا عن بنت عمك فانها ليست بشر نسائك . يا معشر المهاجرين وولاة هذا الأمر ولاكم الله اياه فأنتم أهله وهذان البلدان مكة والمدينة مأوى الحق ومنتهاه وإنما ينظر التابعون إلى السابقين والبلدان إلى البلدين فان استقاموا استقاموا وأيم الله الذى

لا اله إلا هو لئن صفقت احدى اليدين على الأخرى لا يد
السابقون للتابعين ولا البلدان للبلدين وليسلبن أمركم ولينقلن
الملك من بين أظهركم . وما أنتم فى الناس الا كالشامة السوداء فى
الثور الأبيض فانى رأيتكم لشبتم فى الطعن على خليفتكم وبطرتم
معيشتكم وسفهتم أحلامكم وما كل نصيحة مقبولة والصبر على بعض
المكروه خير من تحمله كله . قال ثم خرج القوم وأمسك عثمان
ابن عباس فقال له عثمان يا ابن عمى ويا ابن خالتى فانه لم يبلغنى عنك
فى أمرى شىء احبه ولا أكرهه على ولا لى وقد علمت أنك رأيت
بعض ما رأى الناس فمنعك عقلك وحلمك من أن تظهر ما أظهروا
وقد أحببت أن تعلمنى رأيك فيما بينى وبينك فأعتذر . قال ابن
عباس فقلت يا أمير المؤمنين إنك قد ابتليتنى بعد العافية وأدخلتنى
فى الضيق بعد السعة ووالله أن رأيى لك أن يجل سنك ويعرف
قدرك وسابقتك ووالله لوددت أنك تفعل ما فعلت مما ترك
الخليفتان قبلك فان كان شيئاً تركاه لما رأيا أنه ليس لك كما لم يكن
لهما وان كان ذلك لهما فتركاه خيفة أن ينال منهما مثل الذى نيل
منك تركته لما تركاه له ولم يكونا أحق باكرام نفسك . قال فما
منعك أن تشير على بهذا قبل أن أفعل ما فعلت قال وما علمى أنك
تفعل ذلك قبل أن تفعل قال فهب لى صمتاً حتى ترى رايى . قال

خرج ابن عباس فقال عثمان لمعاوية . ما ترى فان هؤلاء المهاجرين
قد استعجلوا القدر ولا بد لهم بما فى أنفسهم فقال معاوية الرأى أن
تأذن لى فأضرب أعناق هؤلاء القوم قال من . قال على وطلحة
والزبير قال عثمان . سبحان الله أقتل أصحاب رسول الله بلا حدث
أحدثوه ولا ذنب ركبوه قال معاوية فان لم تقتلهم فانهم سيقتلونك
قال عثمان لا أكون أول من خلف رسول الله فى أمته باهراق
الدماء قال معاوية فاختر منى أحـــدى ثلاث خصال قال عثمان
وما هى قال معاوية أرتب لك ههنا أربعة آلاف فارس من خيل
أهل الشام يكونون لك رداء وبين يديك يدأ قال عثمان أرزقهم
من أين قال من بيت المال قال عثمان أرزق أربعة آلاف من
الجند من بيت مال المسلمين لحرز دمى لا فعلت هذا . قال فثانية
قال وما هى قال فرقهم عنك فلا يجتمع منهم أثنان فى مصر واحد
واضرب عليهم البعوث والندب حتى يكون دبر بعير أحدهم أهم
عليه من صلاته . قال عثمان سبحان الله شيوخ المهاجرين وكبار
أصحاب رسول الله وبقية الشورى أخرجهم من ديارهم وأفرق بينهم
وبين أهلهم وأبنائهم لا أفعل هذا قال معاوية فثالثة قال وما هى
قال أجعل لى الطلب بدمك أن قتلت قال عثمان نعم هـذه لك أن
قتلت فـلا يطل دمى . قال ثم خرج عثمان فصعد المنبر فحمد الله
وأثنى عليـــه ثم قال : أما بعد أيها الناس أن نصيحتى كذبتنى

ونفسى منأنى وقد سمعت رسول الله يقول : لا تمادوا فى الباطل فان الباطل يزداد من الله بعداً من أساء فليتب ومن أخطأ فليتب وأنا أول من أتعظ والله لئن ردنى الحق عبداً لاتسن بسنن العبيد ولا أكون كالمر فوق الذى إن ملك صبر وإن أعتق شكر ثم نزل فدخل على زوجته نائلة بنت الفرافصة ودخل معه مروان بن الحكم فقال : يا أمير المؤمنين أتكلم أو أسكت فقالت له نائلة بل أسكت فوالله لئن تكلمت لتغرنه ولتوبقنه فالتفت إليها عثمان مغضبا فقال أسكتى تكلم يا مروان فقال مروان : يا أمير المؤمنين إنك والله لو قلت الذى قلت وأنت فى عـــز ومنعة لتابعتك ولكنك قلت الذى قلت وقد بلغ السيل الزبى وجاوز الحزام الطبيين فانقض التوبة ولا تقر بالخطيئة .

(ما أنكر الناس على عثمان رحمه الله)

قال وذكروا أنه أجتمع ناس من أصحاب النبى عليه السلام كتبوا كتابا ذكروا فيه ما خالف فيه عثمان من سنة رسول الله وسنة صاحبيه وما كان من هبته خمس افريقية لمروان وفيه حق الله ورسوله ومنهم ذوو القربى واليتامى والمساكين وما كان من تطاوله فى البنيان حتى عدوا سبع دور بناها بالمدينة داراً لنائلة وداراً لعائشة وغيرهما من أهله وبناته وبنيان مروان القصور بذى خشب وعمارة الاموال بها من الخمس الواجب لله ولرسوله

وما كان من افشائه العمل والولايات فى أهله وبنى عمه من بنى أمية أحداث وغلمة لا صحبة لهم من الرسول ولا تجربة لهم بالأمور وما كان من الوليد بن عقبة بالكوفة اذا صلى بهم الصبح وهو أمير عليها سكران أربع ركعات ثم قال لهم ان . شئتم ان أزيدكم ركعة زدتكم . وتعطيله إقامة الحد عليه وتأخيره ذلك عنه وتركه المهاجرين والانصار لا يستعملهم على شيء ولا يستشيرهم واستغنى برأيه عن رأيهم وما كان من الحمى الذى حمى حول المدينة وما كان من ادراره القطائع والارزاق والاعطيات على أقوام بالمدينة ليست لهم صحبة من النبي عليه السلام ثم لا يغزون ولا يذبون وما كان من مجاوزته الخيزران الى السوط وانه أول من ضرب بالسياط ظهور الناس وانما كان ضرب الخليفتين قبله بالدرة والخيزران ثم تعاهد القوم ليدفعن الكتاب فى يد عثمان وكان ممن حضر الكتاب عمار بن ياسر والمقداد بن الاسود وكانوا عشرة فلما خرجوا بالكتاب ليدفعوه الى عثمان والكتاب فى يد عمار جعلوا يتسللون عن عمار حتى بقى وحده فمضى حتى جاء دار عثمان فاستأذن عليه فأذن له فى يوم شات فدخل عليه وعنده مروان بن الحكم وأهله من بنى أمية فدفع اليه الكتاب فقرأه فقال له أنت كتبت هذا الكتاب قال نعم قال ومن كان معك قال كان معى نفر تفرقوا فرقاً منك قال

ومن هم قال لاأخبرك بهم قال فلم اجترأت على من بينهم فقال مروان ياأمير المؤمنين ان هذا العبد الاسود (يعنى عماراً) قد جرأ عليك الناس وانك ان قتلته نكلت به من وراءه قال عثمان اضربوه فضربوه وضرب به عثمان معهم حتى فتقوا بطنه فغشى عليه فجروه حتى طرحوه على باب الدار فأمرت به أم سلمه زوج النبي عليه السلام فأدخل منزلها وغضب فيه بنو المغيرة وكان حليفهم فلما خرج عثمان لصلاة الظهر عرض له هشام بن الوليد بن المغيرة فقال أما والله لئن مات عمار من ضربه هذا لاقتلن به رجلا عظيماً من بنى أمية فقال عثمان لست هناك . قال ثم خرج عثمان الى المسجد فاذا هو بعلى وهو شاك معصوب الرأس فقال عثمان والله ياأبا الحسن ما أدرى أشتهى موتك أم أشتهى حياتك فوالله لئن مت ماأحب أن أبقى بعدك لغيرك لانى لاأجد منك خلفاً ولئن بقيت لاأعدم طاغياً يتخذك سلماً وعضداً ويعدك كهفا وملجأ لا يمنعنى منه الامكانه منك ومكانك منه فأنا منك كالابن العاق من أبيه ان مات فجعه وان عاش عقه . فاما سلم فنسالم وأما حرب فنحارب فلا تجعلنى بين السماء والأرض فانك والله ان قتلتنى لاتجد منى خلفاً ولئن قتلتك لا أجد منك خلفا ولن يلى أمر هذه الأمة بادىء فتنة . فقال على : ان فيما تكلمت به لجوابا ولكنى عن جوابك مشغول بوجعى فأنا أقول كما قال العبد الصالح فصبر جميل

والله المستعان على ما تصفون . قال مروان أنا والله اذاً لنكسرن رماحنا ولنقطعن سيوفنا ولا يكون فى هذا الأمر خير لمن بعدنا فقال له عثمان . اسكت ما أنت وهذا فقام اليه رجل من المهاجرين فقال له ياعثمان أرأيت ماحميت من الحمى آلله أذن لكم أم على الله تفترون فيقال عثمان انه قد حمى الحمى قبلى عمر لابل الصدقة وإنما زادت فزدت فقام عمرو بن العاص فقال . ياعثمان انك ركبت بالناس نهابير من الأمر فتب إلى الله يتوبوا فرفع عثمان يديه وقال توبوا إلى الله من كل ذنب اللهم انى أول من تاب اليك ثم قام رجل من الانصار فقال ياعثمان مابال هؤلاء النفر من أهل المدينة يأخذون العطايا ولا يغزون فى سبيل الله وإنما هذا المال لمن غزا فيه وقاتل عليه إلا من كان من هذا الشيوخ من أصحاب محمد عليه السلام فقال عثمان فاستغفر الله وأتوب اليه ثم قال يأهل المدينة من كان له منكم ضرع فليلحق بضرعه ومن كان له زرع فليلحق بزرعه فانا والله لانعطى مال الله إلا لمن غزا فى سبيله الا من كان من هذه الشيوخ من الصحابة . قال فما بال هذا القاعد الشارب لا تقيم عليه الحد (يعنى الوليد بن عقبة) فقال عثمان لعلى دونك ابن عمك فأقم عليه الحد فقال على للحسن قم فاجلده فقال الحسن ما أنت وذاك هذا لغيرك قال على لا ولكنك عجزت وفشلت ياعبد الله بن جعفر قم

فاجلده فقام فضربه وعلى يعد فلما بلغ أربعين أمسك وقال جلد رسول الله أربعين وأبو بكر أربعين وكلها عمر ثمانين وكل سنة.

حصار عثمان رضى الله عنه

قال وذكروا أنه لما اشتد الطعن على عثمان استأذنه على فى بعض بواديه ينتحى اليها فأذن له واشتد الطعن على عثمان بعد خروج على ورجا الزبير وطلحة أن يميلا اليهما قلوب الناس ويغلبا عليهم واغتنما غيبة على فكتب عثمان إلى على إذا اشتد الطعن عليه: أما بعد فقد بلغ السيل الزبى وجاوز الحزام الطبيين وارتفع أمر الناس فى شأنى فوق قدره وزعموا أنهم لا يرضون دون دمى وطمع فى من لا يدفع عن نفسه

وانك لم يفخر عليك كفاخر
ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

وقد كان يقال أكل السبع خير من افتراس الثعلب فأقبل على أو لى.

فإن كنت مأكولا فكن خير آكل
وإلا فأدركنى ولما أمزق

قال حويطب بن عبد العزى : أرسل الى عثمان حين اشتد حصاره فقال قد بدا لى أن أتهم نفسى لهؤلاء فأت علياً وطلحة والزبير فقل لهم هذا أمركم تولوه واصنعوا فيه ما شئتم فخرجت حتى جئت علياً فوجدت على بابه مثل الجبال من الناس والباب مغلق لا يدخل عليه أحد ثم انصرفت فأتيت الزبير فوجدته فى منزله ليس ببابه أحد فأخبرته بما أرسلنى به عثمان فقال قد والله قضى ما عليه أمير المؤمنين هل جئت علياً قلت نعم فلم أخلص اليه فقمنا جميعاً فأتينا طلحة بن عبيدالله فوجدناه فى داره وعنده ابنه محمد فقصصنا عليه ما قال عثمان فقال قد والله قضى ما عليه أمير المؤمنين هل جئتم علياً قلنا نعم فلم نخلص اليه . فأرسل طلحة إلى الاشتر فأتاه فقال اخبره فأخبرته بما قال عثمان فقال طلحة وقد دمعت عيناه قد والله قضى ما عليه أمير المؤمنين فقام الاشتر فقال تبعثون الينا وجاءنا رسولكم بكتابكم وهاهوذا فأخرج كتاباً فيه بسم الله الرحمن الرحيم من المهاجرين الأولين وبقية الشورى إلى من بمصر من الصحابة والتابعين أما بعد أن تعالوا الينا وتداركوا خلافة رسول الله قبل أن يسلبها أهلها فان كتاب الله قد بدل وسنة رسوله قد غيرت وأحكام الخليفتين قد بدلت

فننشد الله من قرأ كتابنا من بقية أصحاب رسول الله والتابعين باحسان إلا أقبل الينا وأخذ الحق لنا وأعطاناه فاقبلوا الينا إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وأقيموا الحق على المنهاج الواضح الذى فارقتم عليه نبيكم وفارقكم عليه الخلفاء غلبنا على حقنا واستولى على فيئنا وحيل بيننا وبين أمرنا وكانت الخلافة بعد نبينا خلافة نبوة ورحمة وهى اليوم ملكا عضوداً من غلب على شىء أكله . أليس هذا كتابكم الينا فبكى طلحه فقال الاشتر لما حضرنا أقبلتم تعصرون أعينكم والله لا نفارقه حتى نقتله وانصرف. قال ثم كتب عثمان كتاباً بعثه مع نافع بن طريف إلى أهل مكة ومن حضر الموسم يستغيثهم فوافى به نافع يوم عرفة بمكة وابن عباس يخطب وهو يومئذ على الناس كان قد استعمله عثمان على الموسم فقام نافع ففتح الكتاب فقرأه فاذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عثمان أمير المؤمنين إلى من حضر الحج من المسلمين أما بعد فانى كتبت اليكم كتابى هذا وأنا محصور أشرب من بئر القصر ولا آكل من الطعام ما يكفينى خيفة أن تنفد ذخيرتى فأموت جوعاً أنا ومن معى لا أدعى إلى توبة أقبلها ولا تسمع منى حجة أقولها فأنشد الله رجلا من المسلمين بلغه كتابى إلا قدم على

فاخذ الحق فى ومنعنى من الظالم والباطل ، قال ثم قام ابن عباس فأتم خطبته ولم يعرض لشىء من شأنه . وكتب إلى أهل الشام عامة وإلى معاوية وأهل دمشق خاصة : أما بعد فانى فى قوم طال فيهم مقامى واستعجلوا القدر فى وقد خيرونى بين أن يحملونى على شارف من الابل الدحيل وبين أن أنزع رداء الله الذى كسانى وبين أن اقيدهم ممن قتلت ومن كان على سلطان يخطىء ويصيب فياغوثاه يا غوثاه ولا أمير عليكم دونى فالعجل العجل يا معاوية وأدرك ثم أدرك وما أراك تدرك .

تولية محمد بن أبى بكر على مصر

قال وذكروا أن أهل مصر جاءوا يشكون ابن أبى سرح عاملهم فكتب اليه عثمان كتاباً يتهدده فيه فأبى بن أبى سرح أن يقبل مانهاه عنه عثمان وضرب بعض ما اتاه به من قبل عثمان من أهل مصر حتى قتله فخرج من أهل مصر سبعمائة رجل فنزلوا المسجد وشكوا إلى أصحاب رسول الله فى مواقيت الصلاة ما صنع بهم بن أبى سرح فقام طلحة فتكلم بكلام شديد وأرسلت عائشة إلى عثمان فقالت له قد تقدم اليك أصحاب رسول الله وسألوك عزل

هذا الرجل فأبيت إلا واحدة فهذا قد قتل منهم رجلا فأنصفهم
من عاملك. ودخل عليه على وكان متكلم القوم فقال له إنما يسألونك
رجلا مكان رجل وقد ادعوا قبله دماً فاعزله عنهم واقض بينهم
فإن وجب لهم عليه حق فانصفهم منه فقال اختاروا رجلا أوله
عليهم فقالوا استعمل محمد بن أبى بكر فكتب عهده وولاه وخرج
معه عدد من المهاجرين والأنصار ينظرون فيما بين ابن أبى سرح
وأهل مصر فخرج محمد ومن معه حتى إذا كانوا على مسيرة ثلاث
ليال من المدينة فاذا هم بغلام أسود على بعير يخبط البعير كأنه
رجل يطلب أو يطلب فقال له أصحاب محمد ما قصتك وما شأنك
كأنك طالب أو هارب فقال أنا غلام أمير المؤمنين وجهنى إلى
عامل مصر فقال له رجل هذا عامل مصر معنا قال ليس هذا
أريد فأخبر محمد بأمره فبعث فى طلبه رجلا فجاء به إليه فقال له
غلام من أنت فأقبل مرة يقول أنا غلام مروان ومرة يقول
أنا غلام أمير المؤمنين حتى عرفه رجل إنه لعثمان فقال له محمد
إلى من أرسلك قال إلى عامل مصر قال بماذا قال برسالة قال
أما معك كتاب قال لا ففتشوه فلم يجدوا معه كتاباً قال وكانت
معه ادوات قد يبس فيها شىء يتقلقل فحركوه ليخرج فلم يخرج فشقوا
أدواته فاذا فيها كتاب من عثمان إلى عبدالله بن أبى سرح فجمع محمد

من كان معه من المهاجرين والأنصار ثم فك الكتاب بمحضر منهم فقرأه فاذا فيه : إذ أتاك محمد بن أبي بكر وفلان وفلان فاقتلهم وابطل كتابهم وأقر على عملك حتى يأتيك رأيي فلما رأوا الكتاب فزعوا منه ورجعوا إلى المدينة وختم محمد الكتاب بخواتم النفر الذى كانوا معه ودفعه إلى رجل منهم ثم قدموا المدينة فجمعوا طلحه والزبير وعلياً وسعداً ومن كان من أصحاب رسول الله ثم فكوا الكتاب بمحضر منهم وأخبرهم بقصة الغلام وأقرأهم الكتاب فلم يبق أحد من أهل المدينة إلا حنق على عثمان . وقام أصحاب النبي فلحقوا بمنازلهم وحصر الناس عثمان وأحاطوا به ومنعوه الماء والخروج ومن كان معه وأجلب عليه محمد بن أبي بكر .

(حصار أهل مصر والكوفة عثمان رحمه الله)

قال وذكروا أن أهل مصر أقبلوا إلى على فقالوا ألم تر الى عدو الله ماذا كتب فينا ، قم معنا إليه فقد أحل الله دمه فقال على لا والله لا أقوم معكم قالوا فلم كتبت إلينا قال على لا والله ما كتبت إليكم كتابا قط فنظر بعضهم إلى بعض ثم أقبل الاشتر

النخعي من الكوفة فى ألف رجل وأقبل ابن أبى حذيفة من مصر فى أربعمائة رجل فأقام أهل الكوفة وأهل مصر بباب عثمان ليلا ونهاراً وطلحة يحرض الفريقين جميعاً على عثمان ثم أن طلحة قال لهم أن عثمان لا يبالى ما حصرتموه وهو يدخل إليه الطعام والشراب فامنعوه الماء أن يدخل عليه .

(مخاطبة عثمان من أعلى القصر طلحة وأهل الكوفة وغيرهم)

قال وذكروا أن عثمان لما منع الماء صعد على القصر واستوى فى أعلاه ثم نادى أين طلحة فأتاه فقال يا طلحة أما تعلم أن بئر رومة كانت لفلان اليهودى لا يسقى أحداً من الناس منها قطرة إلا بثمن فاشتريها بأربعين ألفا فجعلت رشائى فيها كرشاء رجل من المسلمين لم أستأثر عليهم ؟ قال نعم . قال فهل تعلم أن أحداً يمنع أن يشرب منها اليوم غيرى لم ذلك قال لأنك بدلت وغيرت قال فهل تعلم أن رسول الله قال من اشترى هذا البيت وزاده فى المسجد فله به الجنة فاشتريته بعشرين ألفاً وأدخلته فى المسجد قال طلحة نعم قال فهل تعلم اليوم أحداً يمنع فيه من الصلاة غيرى قال لا قال لم قال لأنك غيرت وبدلت ثم انصرف عثمان وبعث

إلى على يخبره أنه منع من الماء ويستغيث به فبعث إليه على ثلاث قرب مملوءة ماء فما كادت تصل إليه فقال طلحة ما أنت وهذا وكان بينهما فى ذلك كلام شديد فبينما هم كذلك إذ أتاهم آت فقال أن معاوية قد بعث من الشام يزيد بن أسيد مدداً لعثمان فى أربعة آلاف من جيل الشام فاصنعوا ما أنتم صانعون وإلا فأنصرفوا وكان معه فى الدار مائة رجل ينصرونه منهم عبد الله بن الزبير ومروان بن الحكم والحسن بن على وعبد الله بن سلام وأبو هريرة فلما سمع القوم إقبال أهل الشام قاموا فألهبوا النار بباب عثمان فلما نظر أهل الدار إلى النار نصبوا للقتال وتهيأوا فكره ذلك عثمان قال لا أريد أن تهرق فى محجمة دم وقال لجميع من فى الدار أنتم فى حل من بيعتى لا أحب أن يقتل فى أحد وكان فيهم عبد الله بن عمر فقال يا أمير المؤمنين مع من تأمرنى أكون أن غلب هؤلاء عليك قال عليك بلزوم الجماعة قلت فان كانت الجماعة هى التى تغلب عليك قال عليك بلزوم الجماعة حيث كانت قال ثم دخل عليه الحسن بن على فقال مرنى بما شئت فانى طوع يديك فقال له عثمان ارجع يا ابن أخى أجلس فى بيتك حتى يأتى الله بأمره ثم دخل عليه أبو هريرة متقلداً سيفه فقال طاب الضراب يا أمير المؤمنين قد قتلوا منا رجلا وقد ألهبوا النار فقال عثمان عزمت

عليك يا أبا هريرة الا ألقيت سيفك قال أبو هريرة فألقيته فلا أدرى من أخذه قال ودخل المغيرة بن شعبة فقال له يا أمير المؤمنين أن هؤلاء قد اجتمعوا عليك فان أحببت فألحق بمكة وأن أحببت أن نخرق لك بابا من الدارفتلحق بالشام ففيهامعاوية وأنصارك من أهل الشام وأن أبيت فأخرج وتخرج وتحاكم القوم إلى الله تعالى فقال عثمان أما ماذكرت من الخروج الى مكة فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يلحد بمكة رجل من قريش عليه نصف عذاب هذه الأمة من الانس والجن فلن أكون ذلك الرجل ان شاء الله وما أن ذكرت من الخروج إلى الشام فان المدينة دار هجرتى وجوار قبر النبى صلى الله عليه وسلم فلاحاجة لى فى الخروج من دار هجرتى وأما ما ذكرت من محاكمة هؤلاء القوم إلى الله فلن أكون أول من خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أمته باهراق الدم ثم قال أنى رأيت ابابكر وعمر أتيانى الليلة فقال لى صم فانك مفطر عندنا الليلة وأنى أصبحت صائما وأنى أعزم على من كان يؤمن بالله واليوم الآخر الا خرج من الدار سالما أنا أن خرجنا لم نأمن على أنفسنا منهم فاذن لنا فنكون فى موضع من الدار فلما رأى ذلك على بعث إلى طلحة والزبير وسعد وعمار ونفر من أصحاب محمد كلهم بدوى ثم

دخلوا على عثمان ومعهم الكتاب والغلام والبعير فقال على الغلام غلامك والبعير بعيرك فقال نعم قال فأنت كتبت هذا الكتاب قال لا وحلف بالله ما كتبت ولا أمرت ولا علمت فقال له فالخاتم خاتمك قال نعم قال فكيف يخرج غلامك ببعيرك وكتاب عليه خاتمك لا تعلم به فحلف بالله ما كتبت هذا الكتاب ولا وجهت ولا أمرت فشك القوم فى أمر عثمان وعلموا أنه لا يحلف بباطل فقال قوم منهم لا يبرأ عثمان من قلوبنا إلا أن يدفع إلينا مروان حتى نعرف كيف يأمر بقتل رجال من أصحاب رسول الله وقطع أيديهم بغير حق فان كان عثمان كتب عزلناه وإن كان مروان كتبه نظرنا فى أمره وما يكون فى أمر مروان فانصرف القوم عنه ولزموا بيوتهم وأبى عثمان أن يخرج لهم مروان وخشى عليه القتل . فبلغ عليا أن عثمان يراد قتله فقال إنا أردنا مروان فأما قتل عثمان فلا ، ثم قال للحسن والحسين إذهبا بسيفكما حتى تقوما على باب عثمان ولا تدعا أحداً يصل إليه وبعث الزبير ابنه على كره وبعث طلحة ابنه كذلك وبعث عدة من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أبناءهم يمنعون الناس أن يدخلوا على عثمان ويسألوه أن يخرج مروان فأشرف عليهم عثمان من أعلى القصر من أعلى فقال: يا معشر المسلمين أذكركم الله ألستم تعلمون أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم طلب دار بنى فلان ليوسع بها للمسلمين فى
مسجدهم فاشتريتها من خالص مالى وأنتم اليوم تمنعونى أن أصلى
فيه ، أذكركم الله يامعشر المسلمين ألستم تعلمون أن بئر رومة كانت
تباع القربة منها بدرهم فاشتريتها من خالص مالى فجعلت رشائى
كرشاء واحد من المسلمين وأنتم تمنعونى أن أشرب من مائها وأنا
اشتريتها حتى انى ماأفطر إلا على ماء البحر ألستم تعلمون أنكم
نقمتم على أشياء فاستغفرت الله وتبت إليه منهما وتزعمون انى
غيرت وبدلت فابعثوا على شاهدين مسلمين وإلا فاحلف بالله
الذى لا إله إلا هو ما كتبت الكتاب ولا أمرت به ولا اطلعت
عليه . ياقوم لا يجرمنكم شقاق أن يصيبكم مثل ماأصاب قوم
نوح أو قوم هود أو قوم صالح لا تقتلونى فانكم إن قتلتمونى
كنتم هكذا وشبك بين أصابعه ياقوم إن الله رضى لكم السمع
والطاعة وحذركم المعصية والفرقة فاقبلوا نصيحة الله واحذروا
عقابه فإنكم إن فعلتم الذى أنتم فاعلون لا تقوم الصلاة جميعا
ويسلط عليكم عدوكم وإنى أخبركم أن قوما أظهروا للناس انهم
إنما يدعونى إلى كتاب الله تعالى والحق فلما عرض عليهم الحق
رغبوا عنه وتركوه وطال عليهم عمرى واستعجلوا القدر بى
وقد كانوا اكتبوا إليكم أنهم قد رضوا بالذى أعطيتهم ولا أعلم انى

تركت من الذى عاهدتهم عليه شيئا وكانوا زعموا أنهم يطالبون الحدود وترك المظالم وردها إلى أهلها فرضيت بذلك وقالوا يؤمن عمرو بن العاص وعبدالله بن قيس ومثلهما من ذوى القوة والأمانة وكل ذلك فعلت فلم يرضوا وحالوا بينى وبين المسجد فابتزوا ما ندروا عليه بالمدينة وهم يخيروننى بين إحدى ثلاث أما أن يقيدوننى بكل رجل أصبت خطأ أو عمداً واما أن اعتزل عن الأمر فيؤمروا أحداً واما أن يرسلوا إلى من أطاعهم من الجنود وأهل الامصار فارسلوا إليكم فأتيتم لتبتزوننى من الذى جعل الله لى عليكم من السمع والطاعة فسمعتم منهم واطعتموهم والطاعة لى عليكم دونهم فقلت لهم أما اقادة من نفسى فقد كان قبلى خلفاً ومن يتولى السلطان يخطىء ويصيب فلم يستقد من أحد منهم وقد علمت أنهم يريدون بذلك نفسى ، وأما أن تبرأ من الأمر فان يصلبونى أحب إلى من اتبرأ من جنة الله تعالى وخلافته بعد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لى : يا عثمان أن الله تعالى سيقمصك قميصاً بعدى فان أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقانى ولم أكن أستكرهتهم من قبل على السمع والطاعة ولكن أتوها طائعين يبتغون بذلك مرضاة الله وصلاح الأمة ومن يكن منهم يبتغى الدنيا فلن ينال منها إلا ما كتب له فاتقوا الله فانى لا أرضى لكم أن تنكثوا عهد

الله وإنى أنشدكم الله والإسلام أن لا تأخذوا الحق ولا تعطوه
منى وما أبرئ نفسى أن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربى
وإنى عاقبت أقواماً وما أبتغى بذلك إلا الخير وأنى أتوب إلى الله
من كل عمل عملته وأستغفره . أما والله لقد علمتم أن رسول الله
صلى الله عليـــه وسلم قال لا يحل دم امرئ مسلم إلا فى أحدى
ثلاث الردة عن الإسلام والزنا بعد الاحصان ولا والله ما كان
ذلك منى فى جاهلية ولا إسلام أو رجل قتل رجلا فيقاد به . فقال
بعضهم أنه ليقول مقالا وقال آخر لئن سمعتم منه ليصرفنكم فأبوا
ورموه بالسهام واستقبلوه بما لا يستقبل مثله ثم أشرف عليهم
عبد الله بن سلام وكان من أهل الدار فقال يا معشر من حاصر
دار عثمان من المهاجرين والانصار ممن أنعم الله عليهم بإسلام
لا تقتلوا عثمان فوالله أن حقه على كل مؤمن كحق الوالد على ولده
ووالله أن على حوائط المدينة أثنى عشر ألف ملك منذ أمد الله
بهم نبيكم صلى الله عليه وسلم ووالله لئن قتلتموه ليسخطن عليكم
ربكم ولتتفرقن ملائكته عنكم وليقتلن بقتله أقواماً هم فى
الاصلاب والارحام وما خلقوا . وانى لأجده فى التوراة التى
أنزل الله على موسى عليه السلام وكتب بيده عز وجل إليكم
بالعبرانى وبالعربى خليفتكم المظلوم الشهيد والذى نفسى بيده لئن

قتلتموه لا تؤدى بعده طاعة إلا عن مخافة ولا توصل رحم عن مكافأة وليقتلن به الرجال ومن فى الاصلاب فقالوا له أيا يهودى أشبع بطنك واكسى ظهرك والله لا ينتطح فيه شاتان ولا يتناقر فيه ديكان فقال أما الشاتان والديكان فصدقتم ولكن التيسان الاكبران يتناطحان فيه فخصبوه ورموه حتى شجوه فالتفت إلى عثمان فقال زعموا إنك أشبعت بطنى وكسوت ظهرى فاصبر يا أمير المؤمنين فو الذى نفسى بيده إنى أجدك فى كتاب الله تعالى المنزل الخليفة المظلوم الشهيد فرميت بالسهام من كل جانب وكان الحسن بن على حاضراً فأصابه السهم فخضبه الدم وأصاب مروان سهم وهو فى الدار وخضب محمد بن طلحة وشج قنبر مولى على فخشى محمد بن أبى بكر أن يغضب بنو هاشم للحسن فيسيرونها فتنة.

(قتل عثمان رضى الله عنه وكيف كان)

قال وذكروا أن محمد بن أبى بكر لما خرج الحسن بن على أخذ بيد رجلين فقال لهما أن جاءت بنو هاشم فرأوا الدماء على وجه الحسن كشفوا الناس عن عثمان وبطل ما تريدون ولكن قوموا حتى نتسور عليه فنقتله من غير أن يعلم أحد فتسور هو وصاحباه من دار رجل من الانصار حتى دخلوا على عثمان

وما يعلم أحد ممن كان معه لأن كل من معه كان فوق البيت ولم يكن معه إلا امرأته فدخل عليه محمد بن أبي بكر فصرعه وقعد على صدره وأخذ بلحيته وقال يا نعثل ما أغنى عنك معاوية وما أغنى عنك ابن عامر وابن أبي سرح فقال له عثمان لو رآني أبوك رضى الله عنه لبكاني ولساءه مكانك منى فتراخت يده عنه وقام وخرج فدعا عثمان بوضوء فتوضأ وأخذ مصحفاً فوضعه فى حجره ليتحرم به ودخل عليه رجل من أهل الكوفة بمشقص فى يده فوجأ به منكبه عا يلى الترقوة فأدماه ونضح الدم على ذلك المصحف وجاء آخر فضربه برجله وجاء آخر فوجأه بقائم سيفه فغشى عليه ومحمد بن أبي بكر لم يدخل مع هؤلاء فتصايح نساؤه ورش الماء على وجهه فأفاق فدخل محمد بن أبي بكر وقد أفاق فقال له أى نعثل غيرت وبدلت وفعلت ثم دخل رجل من أهل مصر فأخذ بلحيته فنتف منها خصلة وسل سيفه وقال افرجوا لى فعلاه بالسيف فتلقاه عثمان بيده فقطعها فقال عثمان أما والله أنها أول يد خطت المفصل وكتبت القرآن . ثم دخل رجل أزرق قصير مجدر ومعه جزر من حديد فمشى إليه فقال على أى ملة أنت يا نعثل فقال لست بنعثل ولكنى عثمان بن عفان وأنا على ملة إبراهيم حنيفاً وما أنا من المشركين قال كذبت وضربه بالجزر على صدغه الأيسر فغسله

الدم وخر على وجهه وحالت نائلة بنت الفرافصة زوجته بينه وبينه وكانت جسيمة وألقت بنت شيبة نفسها عليه ودخل عليه رجل من أهل مصر ومعه سيف مصلت فقال والله لأقطعن أنفه فعالج امرأته عنه فكشف عنها درعها فلما لم يصل إليه أدخل السيف بين قرطها ومنكبها فضربت على السيف فقطع أناملها فقالت يا رباح غلام لعثمان أسود ومعه سيف أعن عنى هذا فضربه الأسود فقتله ثم دخل آخر معه سيف فقال افرجوا لى فوضع ذباب السيف فى بطن عثمان فامسكت نائلة زوجته السيف فحز أصابعها ومضى السيف فى بطن عثمان فقتله فخرجت أمراته وهى تصيح وخرج القوم هاربين من حيث دخلوا فلم يسمع صوت نائلة لمـــا كان فى الدار من الجلبة فصعدت امرأته إلى الناس فقالت أن أمير المؤمنين قد قتل فدخل الحسن والحسين ومن كان معهما فوجدوا عثمان مقتولا قد مثل به فأكبوا عليه يبكون وخرجوا فدخل الناس فوجدوه مقتولا فبلغ علياً الخبر وطلحة والزبير وسعداً ومن كان بالمدينة فخرجوا وقد ذهبت عقولهم فدخلوا عليه واسترجعوا وأكبوا عليه يبكون ويعولون حتى غشى على على ثم أفاق فقال لابنيه كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما

على الباب فرفع يده فضرب الحسن والحسين وشتم محمد بن طلحة ولعن عبد الله بن الزبير وخرج على وقد سلب عقله لا يدرى ما يستقبل من أمره فقال طلحة مالك يا أبا الحسن ضربت الحسن والحسين فقال ياطلحة يقتل أمير المؤمنين ولم تقم عليه بينة ولا حجة فقال طلحة لو دفع مروان لم يقتل فقال على لو دفع مروان قتل قبل أن تقوم عليه حكومة فخرج على فأتى منزله وأغلق الباب . وكتبت نائلة بنت الفرافصة إلى معاوية تصف دخول القوم على عثمان وأخذه المصحف ليتحرم به وما صنع محمد ابن أبى بكر وأرسلت بقميص عثمان مضرجاً بالدم ممزقاً وبالخصلة التى نتفها محمد بن أبى بكر من لحيته فعقدت الشعر فى زر القميص ثم دعت النعمان بن بشير الأنصارى فبعثته إلى معاوية ، ومضى بالقميص حتى أتى على يزيد بن أسيد مدداً لعثمان بعثه معاويه فى أربعة آلاف فاخبرهم بقتل عثمان فانصرفوا إلى الشام قال ثم دخل أهل مصر الدار فلما رأوا عثمان مقتولا ندموا وأستحيوا وكره أكثرهم ذلك وثار أهل الدار فى وجوههم فأخرجوهم منها ثم اقتتلوا عند الباب فضرب مروان بالسيف فصرع .

(دفن عثمان بن عفان رضى الله عنه)

قال وذكروا إن عبد الرحمن بن أزهر قال لم أكن دخلت فى شيء من أمر عثمان لاعليه ولاله فانى لجالس بفناء دارى ليلا بعد ماقتل عثمان بليلة إذ جاءنى المنذر بن الزبير فقال إن أخى يدعوك فقمت إليه فقال لى إنا أردنا أن ندفن عثمان فهل لك قلت والله مادخلت فى شيء من شأنه وما أريد ذلك فانصرفت عنه ثم اتبعته فاذا هو فى نفر فيهم جبير بن مطعم وأبو الجهم بن حذيفة والمسور بن مخرمة وعبد الرحمن ابن أبى بكر وعبدالله بن الزبير فاحتملوه على باب وإن رأسه ليقول طق طق فوضعوه فى موضع الجنائز فقام اليهم رجال من الانصار فقالوا لهم لا والله لا تصلون عليه فقال أبو الجهم ألا تدعون نصلى عليه ، فقد صلى الله تعالى عليه وملائكته فقال لهرجل منهم إن كنت فأدخلك الله مدخله فقال له حشرنى الله معه فقال له إن الله حاشرك مع الشياطين والله إن تركناكم به لعجز منا فقال القوم لابى الجهم اسكت عنهم وكف فسكت فاحتملوه ثم انطلقوا مسرعين كانى أسمع وقع رأسه على اللوح حتى وضعوه فى أدنى البقيع فأتاهم جبلة بن عمرو والساعدى من الانصار فقال لا والله

لا تدفنوه فى بقيع رسول الله ولا نتركـكم تصلون عليه . فقال أبو الجهم انطلقوا بنا إن لم نصل عليه فقد صلى الله عليه فخرجوا ومعهم عائشة بنت عثمان معها مصباح فى حق حتى إذا أتوا به جسر كوكب حفروا له حفرة ثم قاموا يصلون عليه وأمهم جبير بن مطعم ثم دلوه فى حفرته فلما رأته ابنته صاحت فقال ابن الزبير والله لئن لم تسكتى لاضربن الذى فيه عينيك فدفنوه ولم يلحدوه بلبن وحثوا عليه التراب حثواً .

(بيعة على بن أبى طالب كرم الله وجهه وكيف كانت)

قال وذكروا أنه لما كان فى الصباح اجتمع الناس فى المسجد وكثر الندم والتأسف على عثمان رحمه الله وسقط فى أيديهم وأكثر الناس على طلحة والزبير واتهموهما بقتل عثمان فقال الناس لهما ايها الرجلان قد وقعتما فى أمر عثمان فخليا عن أنفسكما فقام طلحة فحمد الله واثنى عليه ثم قال أيها الناس أنا والله ما نقول اليوم إلا ما قلناه أمس إن عثمان خلط الذنب بالتوبة حتى كرهنا أن نقتله وسرنا أن تكفناه وقد كثر فيه اللجاج وأمره إلى الله ثم قام الزبير فحمد الله واثنى عليه ثم قال أيها الناس إن قد رضى

لكم الشورى فأذهبت بها الهوى وقد تشاورنا فرضينا علياً فبايعوه
وأما قتل عثمان فأنا نقول فيه أن أمره إلى الله وقد أحدث
إحداثاً والله وليه فيما كان . فقام الناس فأتوا عليا فى داره فقالوا
نبايعك فمد يدك لا بد من أمير فأنت أحق بها فقال ليس ذلك
إليكم انما هو لأهل الشورى وأهل بدر فهو الخليفة فنجتمع
وننظر فى هذا الأمر فأبى أن يبايعهم فانصرفوا عنه وكلم بعضهم
بعضاً فقالوا يمضى قتل عثمان فى الآفاق والبلاد فيسمعون بقتله
ولا يسمعون إنه بويع لأحد بعده فيثور كل رجل منهم فى ناحية
فلا نأمن أن يكون فى ذلك الفساد فأرجعوا إلى على فلا تتركوه
حتى يبايع فيسير مع قتل عثمان بيعة على فيطمئن الناس ويسكنون
فرجعوا إلى على وترددوا إلى الاشتر النخعى فقال لعلى أبسط يدك
نبايعك فقال له مثل ما قال لهم فقال الاشتر والله لتمدن يدك
تبايعك أو لتعصرن عينك عليها ثالثة ولم يزل به يكلمه ويخوفه
الفتنة ويذكر له أنه ليس أحد يشبهه فمد يده فبايعه الاشتر
ومن معه ثم أتوا طلحة فقالوا له أخرج فبايع قال من
فبايع قال من قالوا علياً قال تجتمع الشورى وتنظر فقالوا أخرج
فبايع فامتنع عليهم فجاءوا به يلببونه فبايعه بلسانه ومنعه يده فقال

أبو ثور كنت فيمن حاصر عثمان فكنت آخذ سلاحي وأضعه
وعلي ينظر إلى يأمرني ولا ينهاني فلما كانت البيعة له خرجت
فى أثره والناس حوله يبايعونه فدخل حائطاً من حيطان بني مازن
فألجؤه إلى نخلة وحالوا بيني وبينه فنظرت إليهم وقد أخذت
أيدي الناس ذراعه تختلف أيديهم على يده ثم أقبل إلى المسجد
الشريف وكان أول من صعد المنبر طلحة فبايعه بيده وكانت
أصابعه شلاء فتطير منها علي فقال ما أخلقها أن تنكث ثم بايعه
الزبير وسعد وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جميعاً ثم نزل فدعا
الناس وأمر بطلب مروان فهرب منه وطلب نفراً من بني أمية
وابن أبي معيط فهربوا وخرجت عائشة باكية تقول قتل عثمان
رحمه الله فقال لها عمار بالأمس تحرضين عليه الناس واليوم
تبكينه ثم جاء علي إلى إمرأة عثمان فقال لها من قتل عثمان قالت
لا أدري دخل عليه رجال لا أعرفهم إلا أن أرى وجوههم وكان
معهم محمد بن أبي بكر فدعا علي محمداً فسأله عما ذكرت امرأة
عثمان فقال محمد صدقت قد والله دخلت عليه فذكر لي أبي
فقمت عنه وأنا تائب إلى الله تعالى والله ما قتلته ولا أمسكته
فقالت صدق ولكن هو أدخلهم قالت ثم ما صنعوا قالت بايعوا

عليا ثم أتونى فأكرهونى وليبونى حتى بايعت قالت وما لعلى يستولى على رقابنا لا أدخل المدينة ولعلى فيها سلطان فرجعت وكان الزبير خارجاً لم يشهد قتل عثمان وكان عمرو بن العاص بفلسطين يوم قتل عثمان فطلع عليه راكب من الحجاز فقال ما وراءك قال تركت عثمان محصوراً فقال عمرو قد يضرط العير والمكواة فى النار ثم لبث أياماً فطلع عليه راكب آخر فقال له عمرو ما الخبر قال قتل عثمان قال فما فعل الناس فقال بايعوا عليا قال فما فعل على فى قتلة عثمان قال دخل عليه الوليد بن عقبه فسأله عن قتله فقال ما أمرت ولا نهيت ولا سرنى ولا ساءنى قال فما فعل بقتلة عثمان فقال آوى ولم يرض وقد قال له مروان أن لا تكن أمرت فقد توليت الامروان لا تكن قتلت فقد آويت القاتلين فقال عمرو بن العاص خلط والله أبو الحسن: قال ثم كتب عمرو بن العاص إلى سعد بن أبى وقاص يسأله عن قتل عثمان ومن قتله ومن تولى كبره فكتب إليه سعد أنك سألتنى من قتل عثمان وإنى أخبرك إنه قتل بسيف سلته عائشة وصقله طلحة وسمه ابن أبى طالب وسكت الزبير وأشار بيده وأمسكنا نحن ولو شئنا دفعناه عنه ولكن عثمان غير وتغير وأحسن وأساء فان كنا

أحسنا فقد أحسنا وإن كنا أسأنا فنستغفر الله وأخبرك إن الزبير مغلوب بغلبة أهله ويطلبه بذنبه وطلحة لو يجد أن يشق بطنه من حب الإمارة لشقه قال وكان ابن عباس غائباً بمكة المشرفة فأقبل إلى المدينة وقد بايع الناس علياً قال ابن عباس فوجدت عنده المغيرة ابن شعبة فجلست حتى خرج ثم دخلت عليه فسألني وسألته ثم قلت له ما قال لك الخارج من عندك آنفاً قال قال لي قبل هذه الدخلة أرسل إلى عبد الله ابن عامر بعده على البصرة ومعاوية بعده على الشام فانك تهدأ عليك البلاد وتسكن عليك الناس ثم أتاني الآن فقال لي إني كنت أشرت عليك برأيي لم اتعقبه فلم أر ذلك رأيا وإني أرى أن تنبذ إليهما العداوة فقد كفاك الله عثمان وهما أهون موتة منه فقال له ابن عباس أما المرة الاولى فقد نصحك فيها وأما الثانية فقد غشك فيها قال فاني قد وليتك الشام فسر إليها قال قلت ليس هذا برأيي أترى معاوية وهو ابن عم عثمان مخلياً بيني وبين عمله ولست آمن إن ظفر بي إن يقتلني بعثمان وأدنى ما هو صانع أن يحبسني ويحكم علي ولكن اكتب إلى معاوية فمنه وعده فان استقام لك الامر فابعثني قال ثم أرسل بالبيعة إلى الافاق وإلى جميع الامصار فجاءته البيعة من كل

مكان إلا الشام فانه لم يأته منها بيعة . فأرسل إلى المغيرة بن شعبة فقال له سر إلى الشام فقد وليتكها قال تبعثنى إلى معاوية قد قتل ابن عمه ثم آتيه واليا فيظن إنى من قتلة ابن عمه ولكن إن شئت أبعث إليه بعهده فانه بالحرى إذا بعثت له بعهده يسمع ويطيع فكتب على إلى معاوية : أما بعد فقد وليتك ما قبلك من الأمر والمال فبايع من قبلك ثم أقدم إلى فى ألف رجل من أهل الشام . فلما أتى معاوية كتاب على دعا بطومار فكتب فيه من معاوية إلى على : أما بعد فانه :

ليس بينى وبين قيس عتاب   غير طعن الكلى وضرب الرقاب

فلما أتى على الكتاب ورأى ما فيه وما هو مشتمل عليه كره ذلك وقام فأتى منزله فدخل عليه الحسن ابنه فقال له أما والله كنت أمرتك فعصيتنى فقال له على وما أمرتنى به فعصيتك فيه قال أمرتك ان تركب رواحلك فتلحق بمكة المشرفة فلا تتهم به ولا تحل شيئاً من أمره فعصيتنى وأمرتك حين دعيت إلى البيعة إن لا تبسط يدك إلا على بيعة جماعـــة فعصيتنى وأمرتك حين خالف عليك طلحة والزبير ان لا تكرههما على البيعة وتخلى

بينهما وبين وجههما وتدع الناس يتشاورون عاماً كاملاً فوالله
لو تشاوروا عاماً مازويت عنك ولا وجدوا منك بدا وأنا آمرك
اليوم إن تقيلهما بيعتهما وترد إلى الناس أمرهم فان رفضوك
رفضتهم وإن قبلوك قبلتهم فانى والله قد رأيت الغدر فى رؤوسهم
وفى وجوههم النكث والكراهية . فقال له على أنا إذاً مثلك
لا والله يا بنى ولكن أقاتل بمن أطاعنى من عصانى وأيم الله يا بنى
مازلت مبغياً على منذ هلك جدك فقال له الحسن وأيم الله يا أبتى
ليظهرن عليك معاوية لأنه من قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه
سلطاناً فقال على يا بنى وما علينا من ظلمه والله ما ظلمناه ولا
أمرنا ولا نصرنا عليه ولا كتبت فيه إلى أحد سواداً فى بياض
وانك لتعلم إن أباك أبرأ الناس من دمه ومن أمره فقال الحسن
دع عنك هذا والله إنى لا أظن بل لا أشك إن مافى المدينة عاتق
ولا عذراء ولا صبي إلا وعليه كفل من دمه فقال يا بنى إنك لتعلم
إن أباك قد رد الناس عنه مراراً أهل الكوفة وغيرهم قد أرسلتكما
جميعاً بسيفكما لتنصرانه وتموتا دونه فنها كما عن القتال ونهى
أهل الدار أجمعين وأيم الله لو أمرنى بالقتال لقاتلت دونه أو
أموت بين يديه قال الحسن دع عنك هذا حتى يحكم الله بين عباده

يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون .قال ثم دخل المغيرة بن شعبة
فقال له على هل لك يامغيرة فى الله قال فأين يا أمير المؤمنين قال
تأخذ سيفك فتدخل معنا فى هذا الأمر فندرك من سبقك وتسبق
من معك فانى أرى أمورا لا بد للسيوف إن تشحذ لها وتقصف
الرؤوس بها فقال المغيرة إنى والله ياأمير المؤمنين ما رأيت عثمان
مصيبا ولا قتله صوابا وإنها لظلمة تتلوها ظلمات فأريد يا أمير
المؤمنين إن أذنت لى أن أضع سيفى وأنا فى بيتى حتى تنجلى الظلمة
ويطلع قمرها فنسرى مبصرين نقفوا آثار المهتدين ونتق سبيل
الجائرين قال على قد أذنت لك فكن من أمرك على مابدالك .
فقام عمار فقال معاذ الله يامغيرة تقعد أعمى بعد أن كنت بصيرا
يغلبك من غلبته ويسبقك من سبقته أنظر ماترى وما تفعل فاما
أنا فلا أكون إلا فى الرعيل الأول .فقال له المغيرة يا أبا اليقظان
أياك إن تكون كقاطع السلسلة فر من الضحل فوقع فى الرمضاء
فقال على لعمار دعه فانه لن يأخذ من الآخرة إلا ما خالطته الدنيا
أما والله يامغيرة إنها المثوبة المؤدية تؤدى من قام فيها إلى الجنة
ولما اختار بعدها فاذا غشيناك فنم فى بيتك فقال المغيرة أنت
والله يا أمير المؤمنين أعلم منى ولئن لم أقاتل معك لا أعين عليك

فان يكن ما فعلت صوابا فاياه أردت وإن خطأ فنه نجوت ولى ذنوب كثيرة لاقبل لى بها إلا الاستغفار منها .

(خطبة على بن أبى طالب كرم الله وجهه)

قال وذكروا إن البيعة لما تمت بالمدينة خرج على إلى المسجد الشريف فصعد المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه ووعد الناس من نفسه خيرا وتألفهم جهده ثم : قال : لا يستغنى الرجل وإن كان ذا مال وولده عن عشيرته دفاعهم بأيديهم وألسنتهم . هم أعظم الناس حيطة من ورائه وإليهم سعيه وأعطفهم عليه أن إصابته مصيبة أو نزل به بعض مكاره الامور ومن يقبض يده من عشيرته فإنه يقبض عنهم يدآ واحدة وتقبض عنه أيد كثيرة ومن بسط يده بالمعروف ابتغاء وجه الله تعالى يخلف الله ماأنفق فى دنياه ويضاعف له فى آخرته . واعلموا أن لسان صدق يجعله الله للمرء فى الناس خير له من المال فلا يزداد أحدكم كبرياء ولا عظمة فى نفسه ولا يغفل أحدكم عن القرابة أن يصلها بالذى لايزيده أن أمسكه ولا ينقصه أن أهلكه واعلموا أن الدنيا قد أدبرت والآخرة قد أقبلت إلا وأن المضمار اليوم والسبق غدآ إلا وأن السبقة الجنة والغاية النار إلا أن الامل يشهى القلب

ويكذب الوعد ويأتى بغفلة ويورث حسرة فهو غرور وصاحبه فى عناء فأفزعوا إلى قوام دينكم وإتمام صلاتكم وأداء زكاتكم والنصيحة لإمامكم وتعلموا كتاب الله وأصدقوا الحديث عن رسول الله عليه وسلم وأوفوا بالعهد إذا عاهدتم وأدوا الأمانات إذا ائتمنتم وارغبوا ثواب الله وارهبوا عذابه واعملوا بالخير تجزوا بالخير يوم يفوز بالخير من قدم الخير .

(إختلاف الزبير وطلحة على على كرم الله وجهه)

قال وذكروا أن الزبير وطلحة أتيا علياً بعد فراغ البيعة فقالا هل تدرى يا على مابايعناك ياأمير المؤمنين قال على نعم على السمع والطاعة وعلى مابايعتم عليه أبا بكر وعمر وعثمان فقالا : ولكن بايعناك على إنا شريكاك فى الأمر قال على لا ولكنكما شريكان فى القول والاستقامة والعون على العجز والأولاد قال وكان الزبير لايشك فى ولاية العراق وطلحة فى اليمن فلما استبان لهما أن علياً غير موليهما شيئاً أظهر الشكاة فتكلم الزبير فى ملأ من قريش فقال هذا جزاؤنا من على قمنا له فى أمر عثمان حتى أثبتنا عليه الذنب وسببنا له القتل وهو جالس فى بيته وكفى الأمر فلما نال بنا ما أراد جعل دوننا غيرنا فقال طلحة مااللوم إلا إنا

كنا ثلاثة من أهل الشورى كرهه أحدنا وبايعناه وأعطيناه مافى أيدينا ومنعنا مافى يده فأصبحنا قد أخطأنا مارجونا. قال فانتهى قولهما إلى على فدعا عبدالله بن عباس وكان استوزره فقال له بلغك قول هذين الرجلين قال نعم بلغنى قولهما قال فما ترى قال أرى أنهما أحبا الولاية فول البصرة الزبير وول طلحة الكوفة فانهما ليسا بأقرب إليك من الوليد وابن عامر من عثمان فضحك على ثم قال ويحك أن العراقيين بهما الرجال والأموال ومتى تملكا رقاب الناس يستميلان السفيه بالطمع ويضربان الضعيف بالبلاء ويقويان على القوى بالسلطان ولو كنت مستعملا أحداً لضره ونفعه لاستعملت معاوية على الشام ولولا ماظهر لى من حرصهما على الولاية لكان لى فيهما رأى قال ثم أتى طلحة والزبير إلى على فقالا ياأمير المؤمنين ائذن لنا إلى العمرة فان تقم إلى انقضائها رجعنا إليك وإن تسر نتبعك فنظر إليهما وقال نعم والله ماالعمرة تريدان أمضيا إلى شأنكما فمضيا .

(خلاف عائشة رضى الله عنها على على)

قال وذكروا أن عائشة لما أتاها أنه بويع لعلى وكانت خارجة عن المدينة فقيل لها قتل عثمان وبايع الناس علياً فقالت ما كنت

أبالى أن تقع السماء على الأرض قتل والله مظلوما وأنا طالبة بدمه فقال لها عبيد إن أول من طعن عليه وأطمع الناس فيه لانت ولقد قلت اقتلوا نعثلا فقد فجر فقالت عائشة قد والله قلت وقال الناس وآخر قولى خير من أوله فقال عبيد عذر والله ضعيف يا أم المؤمنين . ثم قال :

منك البداء ومنك الغير ومنك الرياح ومنك المطر
وأنت أمرت بقتل الإما م وقلت لنا أنه قد فجر
فهبنا أطعناك فى قتله فقاتله عندنا من أمر

قال فلما أتى عائشة خبر أهل الشام انهم ردوا بيعة على وأبوا ان يبايعوه أمرت فعمل لها هودج من حديد وجعل فيه موضع عينيها ثم خرجت ومعها الزبير وطلحة وعبد الله بن الزبير ومحمد بن طلحة .

(اعتزال عبدالله بن عمر وسعد أبى وقاص ومحمد بن مسلمة عن مشاهدة على وحروبه)

قال وذكروا ان عمار بن ياسر قام الى على فقال ياأمير المؤمنين ائذن لى آتى عبد الله بن عمر فأكلمه لعله يخف معنا فى هذا الامر فقال على نعم فأتاه فقال له ياأبا عبد الرحمن انه قد

بايع علياً المهاجرون والانصـــار ومن ان فضلناه عليك لم يسخطك وان فضلناك عليه لم يرضك وقد أنكرت السيف فى أهل الصلاة وقد علمت أن على القاتل القتل وعلى المحصن الرجم وهذا يقتل بالسيف وهذا يقتل بالحجارة وان علياً لم يقتل أحداً من أهل الصلاة فيلزمه حكم القاتل فقال ابن عمر ياأبا القيظان ان أبى جمع أهل الشورى الذين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فكان أحقهم بها على غير انه جاء أمر فيه السيف ولاأعرفه ولكن والله ماأحب انلى الدنيا وماعليها وانى أظهرت وأضمرت عداوة على قال فانصرف عنه فأخبر علياً بقوله فقال على لو أتيت محمد بن مسلمه الانصارى فأتاه عمار فقال له محمد مرحباً بك ياأبا اليقظان على فرقة مابينى وبينك والله لولا مافى يدى من رسول الله صلى الله عليه وسلم لبايعت علياً ولو ان الناس كلهم عليه لكنت معه ولكنه ياعمار كان من النبي أمر ذهب فيه الرأى فقال عمار كيف . قال قال رسول الله اذ رأيت المسلمين يقتلون أو اذا رأيت أهل الصلاة فقال عمار فان كان قال لك اذا رأيت المسلمين فوالله لاترى مسلمين يقتتلان بسيفهما أبداً وان كان قال لك أهل الصلاة فمن سمع هذا معك انما أنت أحد

الساهدين فتريد من رسول الله قولا بعد قوله يوم حجة الوداع : دماؤكم وأموالكم عليكم حرام الا بحدث . فتقول يا محمد لا نقاتل المحدثين قال حسبك ياأبا اليقظان * قال ثم أتى سعد بن أبى وقاص فكلمه فأظهر الكلام القبيح فانصرف عمار الى على : دع هؤلاء الرهط أما ابن عمر فضعيف وأما سعد فحسود وذنبي الى محمد بن مسلمه انى قتلت أخاه يوم خيبر مرحب اليهودى .

(هروب مروان بن الحكم من المدينة المنورة)

قال وذكروا ان مروان بن الحكم لما بويع على هرب من المدينة فلحق بعائشة بمكة فقالت له عائشه ماوراءك فقال مروان غلبنا على أنفسنا فقال له رجل من أهل مكة اياك وعلياً فقد طلبك ففر من بين يديه فقال مروان لم فوالله ما يجد الى سبيلا أما هو فقد علمت انه لا يأخذنى بظن ولا ينصب على الا اليقين وأيم الله ماأبالى اذا قصر على سيفه ماطال على من لسانه فقال الرجل اذا أطال الله عليك لسانه طال سيفه . قال مروان : كلا ان اللسان أدب والسيف حكم .

(خروج على من المدينة)

قال وذكروا ان علياً تردد بالمدينة أربعة أشهر ينتظر جواب معاوية وقد كان كتب اليه كتاباً بعد كتاب يمنيه ويعده اولا ثم كتاباً يخوفه ويتواعده فحبس معاوية جواب كتابه ثلاثة أشهر ثم أتاه جوابه على غير مايحب فلما أتاه ذلك شخص من المدينة فى تسعمائة راكب من وجوه المهاجرين والانصار من أهل السوابق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعهم بشر كثير من أخلاط الناس . واستخلف على المدينة قثم بن عباس وكان له فضل وعقل أمره ان يشخص اليه من أحب للشخوص ولا يحمل أحداً على مايكره فخف الناس الى على بعده ومضى معه من ولده الحسن والحسين ومحمد فلما كان فى بعض الطريق أتاه كتاب أخيه عقيل بن أبى طالب فيه : بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعد يا أخى كلاك الله والله جارك من كل سوء وعاصمك من كل مكروه على كل حال وانى خرجت معتمراً فلقيت عائشة معها طلحة والزبير وذووهما وهم متوجهون الى البصرة قد أظهروا الخلاف ونكثوا البيعة وركنوا عليك قتل عثمان وتبعهم على ذلك كثير من الناس من طغاتهم وأوباشهم ثم مر عبد الله بن أبى سرح فى نحو من أربعين

راكباً من أبناء الطلقاء من بنى أمية فقلت لهم وعرفت المنكر فى وجوههم أبمعاوية الملحقون عداوة . والله أنها منكم ظاهرة غير مستنكرة تريدون بها إطفاء نور الله وتغيير أمر الله فأسمعنى القوم وأسمعتهم ثم قدمت مكة فسمعت أهلها يتحدثون أن الضحاك بن قيس أغار على الحيرة واليمامة فأصاب ما شاء من أموالها ثم انكفأ راجعاً إلى الشام فأف لحياة فى زهو جرأ عليك الضحاك وما الضحاك إلا فقع بقرقرة فظننت حين بلغنى ذلك أن أنصارك خذلوك فاكتب إلى يابن أمى برأيك وأمرك فان كنت الموت تريد تحملت إليك ببنى أخيك وولد أبيك فعشنا ما عشت ومتنا معك إذا مت فوالله ما أحب أن أبقى بعدك فوالله الأعز الأجل إن عيشاً أعيشه بعدك فى الدنيا لغير هنىء ولا مرىء ولا نجيع والسلام . فكتب إليه على كرم الله وجهه : أما بعد يا أخى فكلاك الله كلاءة من يخشاه أنه حميد مجيد قدم على عبد الرحمن الازدى بكتابك تذكر فيه أنك لقيت ابن أبى سرح فى أربعين من أبناء الطلقاء من بنى أمية متوجهين إلى المغرب وابن أبى سرح يا أخى طالما كاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصد عن كتابه وسنته وبغاها عوجاً فدفع ابن أبى سرح وقريشاً فى الضلال فان قريشاً قد اجتمعت على حرب أخيك

اجتماعها على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل اليوم وجهلوا حقي وجحدوا فضلي ونصبوا لي الحرب وجدوا في اطفاء نور الله اللهم فاجز قريشاً عني بفعالها فقد قطعت رحمي وظاهرت على وسلبتني سلطان ابن عمي وسلمت ذلك لمن ليس في قرابتي وحقي في الإسلام وسابقتي التي لا يدعي مثلها مدع إلا أن يدعي مالا أعرف ولا أظن الله يعرفه والحمد لله على ذلك كثيراً. وأما ما ذكرت من غارة الضحاك على الحيرة اليمامة فهو أذل والأم من أن يكون مر بها فضلا عن الغارة ولكن جاء في خيل جريدة فسرحت إليه جنداً من المسلمين فلما بلغه ذلك ولى هارباً فاتبعوه فلحقوه ببعض الطريق حين همت الشمس للاياب فاقتتلوا وقتل من أصحابه بضعة عشر رجلا ونجا هارباً بعد أن أخذ منه بالمخنق فلولا الليل مانجا وأما ما سألت أن أكتب إليك برأيي فان رأيي جهاد المضلين حتى ألقى الله لا يزيدني كثرة الناس حولي عزة ولا تفرقهم عني وحشة لأني محق والله مع المحق وما أكره الموت على الحق لأن الخير كله بعد الموت لمن عقل ودعا إلى الحق. وأما ما عرضت به من مسيرك إلى بنيك وبني أبيك فلا حاجة لي ذلك فذرهم راشداً مهدياً فوالله ما أحب أن تهلكوا معي أن هلكت. وأنا كما قال أخو بني سليم.

فان تسألى كيف صبرى فانى صبور على ريب الزمان صليب
عزيز على أن أرى بكآبة فيشمت واش أو يساء حبيب

(كتاب أم سلمه إلى عائشة)

قال وذكروا أنه لما تحدث الناس بالمدينة بمسير عائشة مع طلحة والزبير ونصبهم الحرب لعلى وتألفهم الناس كتبت أم سلمة إلى عائشة : أما بعد فانك سدة بين رسول الله وبين أمته وحجابك مضروب على حرمته قد جمع القرآن الكريم ذيلك فلا تبذليه وسكن عقيرتك فلا تضيعيه الله من وراء هذه الأمة قد علم رسول الله مكانك لو أراد أن يعهد إليك وقد علمت أن عمود الدين لا يثبت بالنساء أن مال ولا يرأب بهن أن انصدع خمرات النساء غض الأبصار وضم الذيول ماكنت قائلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو عارضك بأطراف الجبال والفلوات على قعود من الإبل من منهل إلى منهل أن بعين الله مهواك وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تردين وقد هتكت حجابه الذى ضرب الله عليك عهيداه ولو أتيت الذى تريدين ثم قيل لى ادخل الجنة لاستحييت أن ألق الله هاتكة حجاباً قد ضربه على فاجعلى حجابك الذى ضرب عليك حصنك فابغيه منزلا لك حتى تلقيه فان أطوع

ماتكونين إذا ما لزمته وأنصح ماتكونين إذا ما قعـــدت فيه ولو ذكرتك كلاماً قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لنهشنى نهش الحية والسـلام . فكتبت إليها عائشة : ما أقبلنى لوعظك وأعلمنى بنصحك وليس مسيرى على ماتظنين ولنعم المتطلع مطلع فرقت فيه بين فئتين متنـاحرتين فإن أقدر فنى غير حرج وإن أحرج مالى مالاغنى بى عن الازياد منه والسلام .

(استنفار عـدى بن حاتم قومه لنصرة على رضى الله عنه)

قال وذكروا أن ابن حاتم قام إلى على فقال يا أمير المؤمنين لو تقدمت إلى قومى أخبرهم بمسيرك واستنفرهم فان لك من طىء مثل الذى معك فقال على نعم فافعـــل فتقدم عدى إلى قومه فاجتمعت إليه رؤساء طىء فقال لهم : يامعشر طىء انكم أمسكتم عن حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشرك ونصرتم الله ورسوله فى الإسلام على الردة وعلى قادم عليكم وقد ضمنت له مثل عدة من معه منكم فخفوا معه وقد كنتم تقاتلون فى الجـاهلية على الدنيا فقاتلوا فى الإسلام على الآخرة فان أردتم الدنيا والآخرة وقد ضمنت عنكم الوفاء وباهيت بكم النـاس فأجيبوا قولى فانكم أعز العرب داراً لكم فضـــل معاشكم وخيلكم فاجعلوا أفضل

المعاش للعيال وفضول الخيل للجهاد وقد أظلكم على والناس معه من المهاجرين والبدريين والانصار فكونوا أكثرهم عدداً فان هذا سبيل للحى فيه الغنى والسرور وللقتيل فيه الحياة والرزق فصاحت طيء نعم نعم حتى كاد أن يصم من صياحهم . فلما قدم على طيء أقبل شيخ من طيء قد هرم من الكبر فرفع له من حاجبيه فنظر إلى على فقال أنت ابن أبى طالب ؟ قال نعم . قال مرحباً بك وأهلا قد جعلناك بيننا وبين الله وعديا بيننا وبينك ونحن بينه وبين الناس والله لو أتيتنا غير مبايعين لك لنصرناك ولقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيامك الصالحة ولئن كان مايقال فيك من الخير حقاً أن فى أمرك وأمر قريش لعجبا إذ أخروك وقدموا غيرك . سر فوالله لا يتخلف عنك من طيء إلا عبد أو دعى إلا باذنك فشخص معه من طيء ثلاثة عشر آلاف راكب .

(استنفار زفر بن زيد قومه لنصرة على)

قال وذكروا أن زفر بن زيد بن حذيفة الاسدى وكان من سادة بنى أسد قام إلى على فقال يا أمير المؤمنين أن بنى طيء اخواننا وجيراننا قد أجابوا عديا ولى فى قومى طاعة فأذن لى فاتهم قال

هم . فأتاهم بجمعهم وقال : يابنى أسد إن عدى بن حاتم ضمن لعلى قومه فأجابوه وقضوا عنه ذمامه فلم يمتل الغنى بالغنى ولا الفقير بالفقير وواسى بعضهم بعضاً حتى كأنهم المهاجرون فى الهجرة والانصار فى الاثرة وهم جيرانكم فى الديار وخلطاؤكم فى الاموال فأنشدكم الله لا يقول الناس غداً نصرت طىء وخذلت بنو أسد وإن الجار يقاس بالجار كالنعل بالنعل فان خفتم فتوسعوا فى بلادهم والضموا إلى جبلهم وهذه دعوة لها ثواب من الله فى الدنيا والآخرة فقام إليه رجل منهم فقال يازفر انك لست كعدى ولا أسد كطىء ارتدت العرب فثبتت طىء على الإسلام وجاد عدى بالصدقة وقاتل بقومه قومك فوالله لو نفرت طىء بأجمعها لمنعت رعلؤها دارها ولو ان منعنا اضيافنا لخفنا على دارنا فان كان لا يرضيك منا الا ما ارضى عديا من طىء فليس ذلك عندنا وان كان يرضيك قدر ما يرد عنا عذر الخذلان واثم المعصية فلك ذلك منا فسار معه من اسد جماعة ليست كجماعة طىء حتى قدم بها على على .

(توجه عائشة وطلحة والزبير الى البصرة)

قال وذكروا انه لما اجتمع طلحة والزبير وذووهما مع

عائشة واجمعوا على المسير من مكة اتاهم عبد الله بن عامر فدعاهم الى النصرة ووعدهم الرجال والاموال فقال سعيد بن العاصى لطلحة والزبير ان عبد اللهبن عامر يدعو كما الى النصرة وقد فر من أهلها فرار العبد الآبق وهم فى طاعة عثمان ويريد ان يقاتل بهم علياً وهم فى طاعة على وخرج من عندهم أميراً ويعود اليهم طريداً وقد وعدكم الرجال والاموال فاما الاموال فعنده وأما الرجال فلا رجل فقال مروان بن الحكم أيها الشيخان ما يمنعكما ان تدعوا الناس الى بيعة مثل بيعة على فان أجابوكما عارضتماه بيعة كبيعة وان لم يجيبوكما عرفتما مالكما فى أنفس الناس فقال طلحة يمنعنا الناس بايعوا علياً على بيعة عامة فيم ننقضها ؟ وقال الزبير ويمنعنا أيضاً من ذلك تثاقلنا عن نصر عثمان وخفتنا الى بيعة على . فقال الوليدبن عقبة ان كنتما اسأتما فقد أحسنتما وان كنتما اخطأتما فقد أصبتما وانتما اليوم خير منكما امس فقال مروان أما أنا فهواى الشام وهواكما البصرة وانا معكم وان كاتب الملكة فقال سعيد بن العاصى اما انا فراجع الى منزلى فلما استقام أمرهم واجتمعت كلمتهم على المسير قال طلحة للزبير انه ليس شيء انفع ولا ابلغ فى استمالة اهواء الناس من ان نشخص لعبداللهبن عمر ثانياه فقالا يا أبا عبد الرحمن ان امنا عائشة خفت لهذا الامر رجاه الاصلاح بين

الناس فاشخص معنا فان لك بها أسوة فان بايعنا الناس فأنت
أحق فقال ابن عمر أيها الشيخان أتريدان أن تخرجانى من بيتى ثم
تلقيانى بين مخالب ابن أبى طالب، إن الناس انما يخدعون بالدينار
والدرهم وإنى قد تركت هذا الامر عيانا فى عافية أنا لها فانصرفا
عنه وقدم يعلى بن منبه عليهم من اليمن وكان عاملا لعثمان فأخرج
أربعمائة بعير ودعا إلى الحملان فقال الزبير دعنا من ابلك هذه
وأقرضنا من هذا المال فأقرض الزبير ستين ألفا وأقرض طلحة
أربعين ألفا ثم سار القوم فقال الزبير الشام بها الرجال والاموال
وعليها معاوية وهو ابن عم الرجل ومتى نجتمع بولنا عليه وقال
عبد الله بن عامر البصرة فان غلبتم عليا فلكم الشام وإن غلبكم
على كان معاوية لكم جنة وهذه كتب أهل البصرة إلى فقال يعلى
ابن منبه وكان ذاهبا أيها الشيخان قدرا قبل أن ترحلا أن معاوية
قد سبقكم إلى الشام وفيها الجماعة وأنتم تقدمون عليه غدا فى فرقة
وهو ابن عم عثمان دونكم أرأيتم أن دفعكم عن الشام أو قال
اجعلها شورى ما أنتم صانعون أتقاتلونه أم تجعلونها شورى فتخرجا
منها وأقبح من ذلك أن تأتيا رجلا فى يديه أمر قد سبقكما إليه
وتريدان أن تخرجاه منه فقال القوم فالى أين قال إلى البصرة

فقال الزبير لعبد الله بن عامر من رجال البصرة ؟ قال ثلاثة كلهم سيد مطاع كعب بن سور فى اليمن والمنذر بن ربيعة فى ربيعة والأحنف بن قيس فى البصرة . فكتب طلحة والزبير إلى كعب بن سور : أما بعد فانك قاضى عمر بن الخطاب وشيخ أهل البصرة وسيد أهل اليمن وقد كنت غضبت لعثمان من الاذى فأغضب له من القتل والسلام وكتبا إلى الأحنف بن قيس . أما بعد فانك وافد عمر وسيد مضر وحليم أهل العراق وقد بلغك مصاب عثمان ونحن قادمون عليك والعيان أشفى لك من الخبر والسلام . وكتبا إلى المنذر . أما بعد فان أباك كان رئيساً فى الجاهلية وسيداً فى الاسلام وإنك من أبيك بمنزلة المصلى من السابق يقال كاد أو لحق وقد قتل عثمان من أنت خير منه وغضب له من هو خير منك والسلام . فلما وصلت كتبهما إلى القوم قام زياد بن مضر والنعمان بن شوال ومروان فقالوا مالنا ولهذا الحى من قريش أيريدون أن يخرجونا من الاسلام بعد أن دخلنا فيه ويدخلونا فى الشرك بعد أن خرجنا منه قتلوا عثمان وبايعوا علياً لهم مالهم وعليهم ما عليهم وكتب كعب بن سور إلى طلحة والزبير . أما بعد فأنا غضبنا لعثمان من الأذى والغير باللسان فجاء أمر الغير فيه بالسيف

فان يك عثمان قتل ظالماً فما لكما وله وإن كان قتل مظلوماً فغير كما أولى به وإن كان أمره أشكل على من شهده فهو على من غاب عنه أشكل . وكتب الأحنف إليهما أما بعد فانه لم يأتنا من قبلكم أمر لا نشك فيه إلا قتل عثمان وأنتم قادمون علينا فان يكن فى العيان فضل نظرنا فيه ونظرتم وإلا يكن فيه فضل فليس فى أيدينا ولا فى أيديكم ثقة والسلام . وكتب المنذر أما بعد فانه لم يلحقنى بأهل الخير إلا أن أكون خيراً من أهل الشر وإنما أوجب حق عثمان اليوم حقه أمس وقد كان بين أظهركم فخذلتموه فمتى استنبطتم هذا العلم وبدا لكم هذا الرأى فلما قرآ كتب القوم ساءهما ذلك وغضبا . ثم غدا مروان إلى طلحة . فقال . يا أبا عبد الرحمن إنه والله لرب حق ضيعناه وتركنا فلما حضر العذر قضينا بالحق وأخذنا بالحظ إن علياً يرى إنفاذ بيعته وإن معاوية لا يرى أن يبايع له وأنا نرى أن نردها شورى فان سرت معنا ومع أم المؤمنين صلحت الأمور وإلا فهى الهلكة ، فقال ابن عمر إن يكن قولكما حقاً ففضلا ضيعت وإن يكن باطلا فشراً منه نجوت واعلما أن بيت عائشة خير لها من هودجها وأنتما فى المدينة خير لكما من البصرة والذل خير لكما من السيف ولن يقاتل علياً

إلا من كان خيراً منه وأما الشـــورى فقد والله كانت
كانت فقدم وأخرتما ولن يردها إلا أولئك الذين حكموا فيها
فاكفياني أنفسكما فانصرفا . فقال مروان استعينا عليه بحفصة
فأتيا حفصة فقالت لو أطاعني أطاع عائشة دعاه فانركاه وتوجها
إلى البصرة . وأتاهما عبد الله بن خلف فقال لهما إنه ليس أحد
من أهل الحجاز كان منه فى عثمان شيء إلا وقد بلغ أهل العراق
وقد كان منكما فى عثمان من التخليب والتأليب مالا يدفعه جحود
ولا ينفعكما فيه عذر وأحسن الناس فيكما قولا من أزال عنكما
القتل وألزمكما الخذل وقد بايع الناس علياً بيعة عامة والناس
لاموكما غداً فما تقولان . فقال طلحة ننكر القتل ونقر بالخذل
ولا ينفع الاقرار بالذنب إلا مع الندم عليه ولقد ندمنا على
ما كان منا وقال الزبير بايعنا علياً والسيف على أعناقنا حيث
تواثب الناس بالبيعة إليه دون مشورتنا ولم نصب لعثمان خطأ
فتجب علينا الدية ولا عمداً فيجب علينا القصاص فقال عبد الله
بن خلف عذركما أشد من ذنبكما قال فتهيأ القوم للسير فقال طلحة
والزبير اسرعوا السير لعلنا نسبق علياً من خلاف طريقه إلى
البصرة قال وكتب قثم بن عباس إلى على يخبره إن طلحة والزبير

وعائشة قد خرجوا من مكة يريدون البصرة وقد استنفروا الناس فلم يخف معهم إلا من لا يعتد بمسيره ومن خلفت بعدك فعلى ما تحب . فلما قدم على على كتابه غمه ذلك واعظمه الناس وسقط فى أيديهم فقام قيس بن سعد بن عبادة فقال : يا أمير المؤمنين إنه والله ماغمنا بهذين الرجلين كغمنا بعائشة لأن هذين الرجلين حلالا الدم عندنا لبيعتهما ونكثهما ولأن عائشة من علمت مقامها فى الإسلام ومكانها من رسول الله مع فضلها ودينها وأمومتها منا ومنك ولكنهما يقدمان البصرة وليس كل أهلها لهما وتقدم الكوفة وكل أهلها لك ونسير بحقك إلى باطلهم ولقد كنا نخاف أن يسيرا إلى الشام فيقال صاحبا رسول الله وأم المؤمنين فيشتد البلاء وتعظم الفتنة فأما إذا أتيا البصرة وقد سبقت إليه طاعتك وسبقوا إلى بيعتك وحكم عليهم عاملك ولا والله ما معهما مثل من معك ولا يتقدمان على مثل ما تقدم عليه فسر فان الله معك وتتابعت الأنصار فقالوا واحسنوا . قال ولما نزل طلحة والزبير وعائشة بأوطاس من أرض خيبر أقبل عليهم سعيد بن العاصى على نجيب له فأشرف على الناس ومعه المغيرة بن شعبة فنزل وتوكأ على قوس له سوداء فأتى عائشة فقال

لها أين تريدين يا أم المؤمنين قالت أريد البصرة قال وما تصنعين بالبصرة قالت أطالب بدم عثمان قال فهؤلاء قتلة عثمان معك ثم أقبل على مروان فقال له وأنت أين تريد أيضا قال البصرة قال وما تصنع بها قال أطلب قتلة عثمان قال فهؤلاء قتلة عثمان معك ان هذين الرجلين قتلا عثمان (طلحة والزبير) وهما يريدان الأمر لأنفسهما فلما غلبا عليه قالا نغسل الدم بالدم والحوبة بالتوبة . ثم قال المغيرة بن شعبة أيها الناس ان كنتم انما خرجتم مع أمكم فارجعوا بها خيراً لكم وان كنتم غضبتم لعثمان فرؤساؤكم قتلوا عثمان وإن كنتم نقمتم على على شيئاً فبينوا ما نقمتم عليه أنشدكم الله فتنتين فى عام واحد. فأبوا إلا أن يمضوا بالناس فلحق سعيد بن العاصى باليمن ولحق المغيرة بالطائف فلم يشهدا شيئاً من حروب الجمل ولا صفين فلما انتهوا إلى ماء الحوأب فى بعض الطريق ومعهم عائشة نبحها كلاب الحوأب فقالت لمحمد بن طلحة أى ماء هذا قال ماء الحوأب فقالت ما أرانى إلا راجعة قال ولم قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لنسائه : كأنى باحداكن قد نبحها كلاب الحوأب واياك أن تكونى أنت يا حميراء فقال لها محمد بن طلحة تقدمى رحمك الله ودعى هذا القول . وأتى عبد الله بن الزبير فحلف لها بالله لقد خلفتيه أول الليل وأتاها ببينة زور من الأعراب فشهدوا بذلك فزعموا

أنها أول شهادة زور شهد بها فى الاسلام فلما انتهى إقبالهم على أهل البصرة ودنوا منها قام عثمان بن حنيف عامل البصرة لعلى ابن أبى طالب فقال : يا أيها الناس إنما بايعتم الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيما والله لو علم على أن أحداً أحق بهذا الأمر منه ما قبله ولو بايع الناس غيره لبايع من بايعوا وأطاع من ولوا وما به إلى أحد من صحابة رسول الله حاجة وما باحد عنه غنى ولقد شاركهم فى محاسنه وماشاركوه فى محاسنه ولقد بايعه هذان الرجلان ومايريد الله فاستعجلا الفطام قبل الرضاع والرضاع قبل الولادة والولادة قبل الحمل وطلبا ثواب الله من العباد وقد زعما أنهما بايعا مستكرهين فان كانا استكرها قبل بيعتهما وكانا رجلين من عرض قريش لهما أن يقولا ولا يأمر إلا وان الهدى ما كانت عليه العامة والعامة على بيعة على فما ترون أيها الناس ؟ فقال حكم بن جبل العبدى . فقال : نرى أن دخلا علينا قاتلناهما وإن وقفا تلقيناهما والله ما أبالى أن أقاتلهما وحدى وإن كنت أحب الحياة وما أخشى فى طريق الحق وحشة ولا غيرة ولا غشاً ولا سوء منقلب إلى بعث وأنها لدعوة قتيلها شهيد وحيها فائز والتعجيل إلى الله قبل الأجر خير من التأخير فى الدنيا وهذه ربيعة معك .

نزول طلحة والزبير وعائشة البصرة

قال وذكران طلحة والزبير نزلا البصرة قال عثمان بن حنيف تعذر اليهما برجلين فدعا عمران بن الحصين صاحب رسول الله وأبا الاسود الدؤلى فأرسلهما إلى طلحة والزبير فذهبا اليهما فناديا ياطلحة فأجابهما فتكلم أبو الاسود الدؤلى فقال يا أبا محمد انكم قتلتم عثمان غير مؤامرين لنا فى قتله وبايعتم علياً غير مؤامرين لنا فى بيعته فلم نغضب لعثمان إذ قتل ولم نغضب لعلى إذ بويع ثم بدا لكم فأردتم خلع على ونحن على الامر الاول فعليكم المخرج مما دخلتم فيه. ثم تكلم عمران فقال ياطلحة انكم قتلتم عثمان ولم نغضب له إذلم تغضبوا ثم بايعتم علياً وبايعنا من بايعتم فان كان قتل عثمان صواباً فمسيركم لماذا وإن كان خطأ فحظكم منه الاوفر ونصيبكم منه الاوفى. فقال طلحة ياهذان ان صاحبكما لا يرى أن معه فى هذا الامر غيره وليس على هذا بايعناه وأيم الله ليسفكن دمه. فقال أبو الاسود ياعمران أما هذا فقد صرح أنه إنما غضب للملك ثم أتيا الزبير فقالا ياأبا عبد الله انا أتينا طلحة قال الزبير إن طلحة واياى كروح فى جسدين وانه والله ياهذان قد كانت منا فى عثمان فلتات احتججنا فيها إلى المعاذير

ولو استقبلنا من أمرنا ما استدبرنا نصرناه ثم أتيا فدخلا على عائشة فقالا يا أم المؤمنين ما هذا المسير أمعك من رسول الله به عهد قالت : قتل عثمان مظلوماً غضبنا لكم من السوط والعصا ولا نغضب لعثمان من القتل فقال أبو الاسود وما أنت من عصانا وسيفنا وسوطنا فقالت يا أبا الاسود بلغنى أن عثمان بن حنيف يريد قتالى فقال أبو الاسود نعم والله قتالا أهونه تندر منه الرؤوس وأقبل غلام من جهينة الى محمد بن طلحة فقال حدثنى عن قتلة عثمان قال نعم دم عثمان على ثلاث اثلاث ثلث على صاحبة الهودج وثلث على صاحب الجمل الاحمر وثلث على على ابن أبى طالب فضحك الجهينى ولحق بعلى بن أبى طالب وبلغ طلحة قول ابنه محمد وكان محمد من عباد الناس فقال له يا محمد أتزعم عنا قولك إنى قاتل عثمان كذلك تشهد على أبيك كن كعبد الله ابن الزبير فو الله ما انت بخير منه ولا ابوك بدون أبيه كف عن قولك وإلا فارجع فان نصرتك نصرة رجل واحد وفسادك فساد عامة فقال محمد ما قلت إلا حقاً وان اعود .

نزول على بن أبى طالب الكوفة

قال وذكروا أن علياً لما نزل قريباً من الكوفة بعث عمار

ابن ياسر ومحمد ابن أبي بكر إلى أبي موسى الاشعرى وكان أبو موسى عاملا لعثمان على الكوفة فبعثهما على اليه وإلى أهل الكوفة يستنفرهم فلما قدما عليه قام عمار بن ياسر ومحمد بن أبي بكر فدعوا الناس إلى النصرة لعلى فلما أمسوا دخل رجال من أهل الكوفة على ابى موسى فقالوا ما ترى أنخرج مع هذين الرجلين إلى صاحبهما ام لا ؟ فقال ابو موسى : اما سبيل الآخرة ففى ان تلزموا بيوتكم واما سبيل الدنيا فالخروج مع من اتاكم فأطاعوه فتباطأ الناس على على وبلغ عماراً ومحمداً ما أشار ابو موسى على أولئك الرهط فأتياه فأغلظا له فى القول قال ابو موسى ان بيعة عثمان فى عنقى وعنق صاحبكم ولئن اردنا القتال مالنا إلى قتال احد من سبيل حتى نفرغ من قتلة عثمان . ثم خرج ابو موسى فصعد المنبر ثم قال : ايها الناس ان اصحاب رسول الله الذين صحبوه فى المواطن أعلم بالله ورسوله ممن لم يصحبه وإن لكم حقاً على أؤديه اليكم ، إن هذه الفتنة النائم فيها خير من اليقظان والقاعد خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والساعي خير من الراكب فاغمدوا سيوفكم حتى تنجلى هذه الفتنة . فقام عمار بن ياسر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس ان أبا موسى ينهاكم عن الشخوص إلى هاتين

الجماعتين ولعمرى ما صدق فيما قال وفيما رضى الله من عباده بما ذكر قال الله عز وجل : « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا » وقال: قاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » فلم يرض من عباده بما ذكر أبو موسى من أن يجلسوا فى بيوتهم ويخلوا بين الناس فيسفك بعضهم دم بعض فسيروا معنا إلى هاتين الجماعتين واسمعوا من حججهم وانظروا من أولى بالنصرة فاتبعوه فان أصلح الله أمرهم مأجورين وقد قضيتم حق الله وإن بغى بعضهم على بعض نظرتم إلى الفئة الباغية فقاتلتموها حتى تفىء إلى أمر الله كما امركم الله وافترض عليكم ثم قعد. فلما انصرفا إلى على من عند أبى موسى وخبراه بما قال أبو موسى بعث اليه الحسن بن على وعبد الله بن عباس وعمار بن ياسر وقيس بن سعد وكتب معهم إلى الكوفة : أما بعد فانى أخبركم عن أمر عثمان حتى يكون سامعه كمن عاينه ان الناس طعنوا على عثمان فكنت رجلا من المهاجرين أقل عيبه واكثر استعتابه وكان هذان الرجلان طلحة والزبير

أهون سيرهما فيه اللهجة والوجيف وكان من عائشة فيه قول على غضب فانتحى له قوم فقتلوه وبايعني الناس غير مستكرهين وهما أول من بايعني على ما بويع عليه من كان قبلي ثم استأذنا إلى العمرة فأذنت لهما فنقضا العهد ونصبا الحرب وأخرجا أم المؤمنين من بيتها ليتخذاها فتنة وقد سار إلى البصرة اختياراً لأهلها ولعمري ما اياي تجيبون لما تجيبون إلا الله . وقد بعثت ابني الحسن وابن عمي عبد الله بن عباس وعمار بن ياسر وقيس ابن سعد فكونوا عند ظننا بكم والله المستعان . فسار الحسن ومن معه حتى قدموا الكوفة على أبي موسى فدعوه إلى نصرة علي فبايعهم ثم صعد أبو موسى المنبر وقام الحسن أسفل منه فدعاهم إلى نصرة علي وأخبرهم بقرابته من رسول الله وسابقته وبيعة طلحة والزبير اياه ونكثهما عهده وأقرأهم كتاب علي فقام شريح بن هانيء فقال لقد أردنا أن نركب إلى المدينة حتى نعلم قتل عثمان فقد أتانا الله به في بيوتنا فلا تخالفوا عن دعوته والله لو لم يستنصر بنا لنصرناه سمعاً وطاعة ثم قام الحسن بن علي فقال : أيها الناس أنه قد كان من مسير أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب ما قد بلغكم وقد أتيناكم مستنفرين لأنكم جبهة الأنصار ورؤوس العرب وقد كان من نقض طلحة والزبير بعد بيعتهما وخروجهما

بعائشة ما بلغكم وتعلمون أن وهن النساء وضعف رأيهن إلى التلاشى ومن أجل ذلك جعل الرجال قوامين على النساء وأيم الله لولم ينصره منكم أحد لرجوت أن يكون فيمن أقبل معه من المهاجرين والأنصار كفاية فانصروا الله ينصركم ثم قام عمار بن ياسر فقال يا أهل الكوفة أن كان غاب عنكم أنباؤنا فقد انتهت إليكم أمورنا ، أن قتلة عثمان لايتعذرون من قتله إلى الناس ولا ينتكرون ذلك وقد جعلوا كتاب الله بينهم وبين محاجيهم . فيه أحيا الله من أحيا وأمات . وأن طلحة والزبير كانا أول من طعن وآخر من أمر وكانا أول من بايع علياً فلما أخطأهما ما أملاه لكثا بيعتهما من غير حدث وهذا ابن بنت رسول الله الحسن قد عرفتموه وقد جاء يستنفركم وقد أظلكم على فى المهاجرين والبدريين والأنصار الذين تبوأوا الدار والإيمان فانصروا الله ينصركم . ثم قام قيس بن سعد : فقال : أيها الناس أن الأمر لو استقبل به أهل الشورى كان على أحق بها وكان قتال من أبى ذلك حلالا فكيف والحجة على طلحة والزبير وقد بايعاه رغبة وخالفاه حسداً وقد جاءكم المهاجرون والأنصار .

(دخول طلحة والزبير وعائشة البصرة)

قال وذكروا أنه لما نزل طلحة والزبير وعائشة البصرة

اصطف لها الناس فى الطريق يقولون يا أم المؤمنين ما الذى أخرجك من بيتك فلما أكثروا عليها تكلمت بلسان طلق وكانت من أبلغ الناس فحمدت الله وأثنت عليه . ثم قالت : أيها الناس والله ما بلغ من ذنب عثمان أن يستحل دمه ولقد قتل مظلوماً . غضبنا لكم من السوط والعصا ولا نغضب لعثمان من القتل وأن من الرأى أن تنظروا إلى قتلة عثمان فيقتلوا به ثم يرد هذا الأمر شورى على ما جعله عمر بن الخطاب . فمن قائل يقول صدقت وآخر يقول كذبت فلم يبرح الناس يقولون ذلك حتى ضرب بعضهم وجوه بعض فبينما هم كذلك أتاهم رجل من أشراف البصرة بكتاب كان كتبه طلحة فى التأليب على قتل عثمان فقال لطلحة هل تعرف هذا الكتاب قال نعم قال فما ردك على ما كنت عليه وكنت أمس تكتب إلينا تؤلبنا على قتل عثمان وأنت اليوم تدعونا إلى الطلب بدمه وقد زعمتما أن علياً دعاكما إلى أن تكون البيعة لكما قبله إذا كنتما أسن منه فأبيتما إلا أن تقدماه لقرابته وسابقته فبايعتماه فكيف تنكثان بيعتكما بعد الذى عرض عليكما قال طلحة دعانا إلى البيعة بعد أن اغتصبها وبايعه الناس فعلمنا حين عرض علينا أنه غير فاعل ولو فعل أبى ذلك المهاجرون والأنصار وخفنا أن نرد بيعته فنقتل فبايعناه كارهين فما بدا لكما فى عثمان قال ذكرنا

ماكان من طعننا عليه وخذلاننا إياه فلم نجد من ذلك مخرجاً إلا الطلب بدمه قال ماتأمرنى به قال بايعنا على قتال على ونقض بيعته قال أرأيتما أن أتانا بعدكما من يدعونا إلى ماتدعون إليه مانصنع ؟ قالا لا تبايعه قال أنصفتما أتأمرانى أن أقاتل علياً وأنقض بيعته وهى فى أعناقكما وتنهيانى عن بيعة من لا بيعة له عليكما إما أننا قد بايعنا علياً فإن شئتما بايعنا كما بيسار أيدينا . قال ثم تفرق الناس فصارت فرقة مع عثمان بن حنيف وفرقة مع طلحة والزبير ثم جاء جارية بن قدامة فقال : يا أم المؤمنين لقتل عثمان كان أهون علينا من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون أنه كانت من الله تعالى حرمة وستر فهتكت سترك وأبحت حرمتك أنه من رأى قتالك فقد رأى قتلك فإن كنت ياأم المؤمنين أتيتينا طائعة فارجعى إلى منزلك وإن كنت أتيتينا مستكرهة فاستعينى الله .

(قتل أصحاب عثمان بن حنيف عامل على على البصرة)

قال وذكروا أنه لما اختلف القوم اصطلحوا على أن لعثمان بن حنيف دار الامارة ومسجدها وبيت المال وأن ينزل أصحابه حيث شاءوا من البصرة وأن ينزل طلحة والزبير وأصحابهما

حيث شاءوا حتى يقدم على فان اجتمعوا دخلوا فيما دخل فيه الناس وأن يتفرقوا يلحق كل قوم بأهوائهم عليهم بذلك عهد الله وميثاقه وذمة نبيه وأشهدوا شهوداً من الفريقين جميعاً فانصرف عثمان فدخل دار الإمارة وأمر أصحابه أن يلحقوا بمنازلهم ويضعوا سلاحهم وافترق الناس وكتموا ما فى أنفسهم غير بنى عبد القيس فانهم أظهروا نصرة على وكان حكيم بن جبل رئيسهم فاجتمعوا إليه فقال لهم : يامعشر عبد القيس ان عثمان ابن حنيف دمه مضمون وأمانته مؤداة وأيم الله لو لم يكن على أميراً لمنعناه لمكانته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف وله الولاية والجوار فأشخصوا بأبصاركم وجاهدوا العدو فإما أن تموتوا كراماً وإما أن تعيشوا أحراراً فمكث عثمان بن حنيف فى الدار أياماً ثم أن طلحة والزبير ومروان ابن الحكم أتوه نصف الليل فى جماعة معهم فى ليلة مظلمة سوداء مطيرة وعثمان نائم فقتلوا أربعين رجلا من الحرس فخرج عثمان بن حنيف فشد عليه مروان فأسروه وقتل أصحابه فأخذه مروان فنتف لحيته ورأسه وحاجبيه فنظر عثمان بن حنيف إلى مروان فقال أما انك إن فتنى بها فى الدنيا لم تفتنى بها فى الآخرة .

(تعبئة الفئتين للقتـــال)

وذكروا أنه لمـا تعبأ القوم للقتال فكانت الحرب للزبير وعلى الخيـل طلحة وعلى الرجالة عبد الله بن الزبير وعلى القلب محمد بن طلحة وعلى المقـدمة مروان وعلى الميمنة عبد الرحمن بن عيادة وعلى الميسرة هلال بن وكيع فلما فرغ الزبير من التعبئة قال : أيها الناس وطنوا أنفسكم على الصبر فانه يلقاكم غداً رجل لامثيل له فى الحرب ولا شبيه ومعه شجعان النـاس فلما بلغ علياً تعبئة القوم عبأ الناس للقتال فاستعمل على المقـــدمة عبد الله ابن عباس وعلى السـاقة هند المرادى وعلى جميع الخيـل عمار ابن ياسر وعلى جميع الرجالة محمد بن أبى بكر ثم كتب إلى طلحة والزبير . أما بعد فقد علمتما إنى لم أرد الناس حتى أرادونى ولم أبايعهم حتى بايعونى وأنكما لمن أراد وبايع وأن العامة لم تبايعنى لسلطان خاص فان كنتما بايعتمانى كارهين فقد جعلتما لى عليكما السبيل باظهاركما الطاعة واسراركما المعصية وان كنتما بايعتمانى طائعين فارجعا إلى الله من قريب . أنت يازبير لفارس رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه وانك يا طلحة لشيـخ المهاجرين وإن دفاعكما هذا الأمر قبل أن تدخلا فيه كان أوسع عليكما من خروجكما منه بعد إقراركما به وقد زعمتما أنى قتلت عثمان فبينى

وبينكما فيه بعض من تخلف عنى وعنكما من أهل المدينة وزعمتما إنى آويت قتلة عثمان فهؤلاء بنو عثمان فليدخلوا فى طاعتى ثم يخاصموا إلى قتلة أبيهم وما أنتما وعثمان أن كان قتل ظالماً أو مظلوماً ولقد بايعتمانى وأنتما بين خصلتين قبيحتين نكث بيعكما واخراجكما أمكما . وكتب إلى عائشة . أما بعد فانك خرجت غاضبة لله ورسوله تطلبين أمراً كان عنك موضوعاً ما بال النساء والحرب والاصلاح بين الناس تطلبين بدم عثمان ولعمرى لمن عرضك للبلاء وحملك على المعصية أعظم إليك ذنباً من قتلة عثمان وما غضبت حتى أغضبت وما هجت حتى هيجت فاتق الله وارجعى إلى بيتك ، فأجابه طلحة والزبير أنك سرت مسيراً له ما بعده ولست راجعاً وفى نفسك منه حاجة فامض لامرك أما أنت فلست راضيا دون دخولنا فى طاعتك ولسنا بداخلين فيها أبداً فاقض ما أنت قاض . وكتبت عائشة . جل الامر عن العتاب والسلام ، وقال ورجعت رسل على من البصرة فنهم من أجابه وأتاه ومنهم من لحق بعائشة وطلحة والزبير وبعث الاحنف بن قيس إلى على . إن شئت أتينك فى مائتى رجل من أهل بيتى وأن شئت كففت عنك أربعة آلاف سيف فأرسل

إليه على كف عنى أربعة آلاف سيف وكفى بذلك ناصراً. فجمع الاحنف بنى تميم فقال يا معشر بنى تميم أن ظهر أهل البصرة فهم إخوانكم وإن ظهر على فلم يهجكم وكنتم قد سلمتم . فكف بنو تميم ولم يخرجوا إلى أحد الفريقين . قال ولما كتب على إلى طلحة والزبير أتى زمعة بن الاسود إلى طلحة والزبير فقال لهما إن علياً قد أكثر إليكما الرسل كأنه طمع فيكما وأطمعتماه فى أنفسكما فاتقيا الله إن كنتما بايعتماه طائعين واتقيا الله علينا وعلى أنفسكما فان اللبن فى الضرع ومتى يحلب لا يرجع وإن كنتما بايعتماه مكرهين فاخرقا هذا الوطب وادفعا هذا اللبن فما أغنانا عن هذه الكتب والرسل . قال فخرج طلحة والزبير وعائشة وهى على جمل عليه هودج قد ضرب عليه صفائح الحديد فبرزوا حتى خرجوا من الدور ومن أفنية البصرة فلما توافقوا للقتال أمر على منادياً ينادى فى أصحابه لا يرمين أحد سهماً ولا حجراً ولا يطعن برمح حتى أعذر إلى القوم فأتخذ عليهم الحجة البالغة . قال فكلم على طلحة والزبير قبل القتال فقال لهما استحلفا عائشة بحق الله وبحق رسوله عليها أربع خصال أن تصدق فيها. هل تعلم رجلا من قريش أولى منى بالله ورسوله وإسلامى قبل كافة الناس أجمعين وكفايتى رسول الله كفار العرب بسيفى ورمحى وعلى براءتى من

دم عثمان وعلى انى لم أستكره أحداً على بيعة وعلى إنى لم أكن أحسن قولا فى عثمان منكما . فأجابه طلحة جوابا غليظاً ورق له الزبير ثم رجع على إلى أصحابه فقالوا يا أمير المؤمنين بم كانت الرجلين فقال على أن شأنهما لمختلف أما الزبير فقادة اللجاج ولن يقاتلكم وأما طلحة فسألته عن الحق فأجابنى بالباطل ولقيته باليقين ولقينى بالشك فو الله ما نفعه حق ولا ضرنى باطله وهو مقتول غداً فى الرعيل الاول . قال ثم خرج على على بغلة رسول الله الشهباء بين الصفين وهو حاسر فقال اين الزبير فخرج إليه حتى إذا كانا بين الصفين اغتنق كل واحد منهما صاحبه وبكيا ثم قال على يا عبد الله ماجاء بك هنا قال جئت أطلب دم عثمان قال على تطلب دم عثمان قتل الله من قتل عثمان أنشدك الله يازبير هل تعلم أنك مررت بى وأنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متكىء على يدك فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك إلى ثم التفت إليك فقال لك يازبير إنك تقاتل علياً وأنت له ظالم قال اللهم نعم قال فعلام تقاتلنى قال الزبير نسيتها والله ولو ذكرتها ما خرجت إليك ولا قاتلتك فانصرف على إلى أصحابه فقالوا يا أمير المؤمنين مررت إلى رجل فى سلاحه وأنت حاسر قال على ، أتدرون من الرجل قالوا لا قال ذلك الزبير بن صفية

عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أنه قد أعطى الله عهداً إنه لا يقاتلكم إلى ذكرت له حديثا قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو ذكرته ما أتيتك. فقالوا الحمد لله يا أمير المؤمنين ما كنا نخشى فى هذا الحرب غيره ولا نتق سواه انه لفارس رسول الله صلى الله عليه وسلم وحنواريه ومن عرفت شجاعته وبأسه ومعرفته بالحرب فاذ قد كفاناه الله فلا نعد من سواه الا صرعى حول الهودج .

(رجوع الزبير عن الحرب)

قال وذكروا ان الزبير دخل على عائشة فقال: ياأماه ماشهدت موطناً قط فى الشرك ولا فى الاسلام الا ولى فيه رأى وبصيرة غير هذا المواطن فانه لارأى لى فيه ولا بصيرة وانى لعلى باطل . قالت عائشة ياأبا عبد الله خفت سيوف بنى عبد المطلب فقال أما والله ان سيوف بنى عبد المطلب طوال حداد يحملها فتية أنجاد ثم قال لابنه عبد الله عليك بحربك أما أنا فراجع الى بيتى فقال له ابنه عبد الله : الآن حين التقت حلقتا البطان واجتمعت الفئتان والله لا نغسل رؤوسنا منها فقال الزبير لابنه لا تعد هذا منى جبناً فوالله مافارقت أحداً فى جاهلية ولا اسلام قال فما يردك قال يردنى ما ان علمته كسرك فقام بأمر الناس عبد الله بن الزبير .

(قتل الزبير بن العوام)

قال وذكروا ان الزبير لما انصرف راجعاً الى المدينة أتاه بن جرموز فنزل به فقال ياأبا عبد الله أحييت حرباً ظالماً أو مظلوماً ثم تنصرف أتائب أنت أم عاجز . فسكت عنه ثم عاوده فقال له ياأبا عبد الله حدثنى عن خصال خمس أسألك عنها قال هات قال خذلك عثمان وبيعتك علياً واخراجك أم المؤمنين وصلاتك خلف ابنك ورجوعك عن الحرب. فقال الزبير نعم اخبرك: أما خذلى عثمان فأمر قدر الله فيه الخطيئة وأخر التوبة وأما بيعتى علياً فوالله ماوجدت من ذلك بدأ حيث بايعه المهاجرون والانصار وخشيت القتل وأما اخراجنا أمنا عائشة فأردنا أمراً وأراد الله غيره وأما صلاتى خلف ابنى فانما قدمته عائشة أم المؤمنين ولم يكن لى سوى صاحبي أمر ، وأما رجوعى عن هذا فظن بى ماشئت غير الجبن فقال ابن جرموز والهفاه على ابن صفية أضرمها ناراً ثم أراد أن يلحق بأهله قتلنى الله ان لم أقتله . ثم أتاه فقال له ياأبا عبد الله كالمستنصح له : ان دون أهلك فيافى فخذ نجيبي هذا وخل فرسك ودرعك فانهما شاهدان عليك بما تكره فقال الزبير أنظر فى ذلك ، ثم ألح عليه فى فرسه ودرعه فلم يزل حتى أخذهما منه

وإنما أراد ابن جرموز أن يلقاه حاسراً لما علم بأسه ثم أتى
ابن جرموز الأحنف بن قيس فساره بمكان الزبير عنده وبقوله
فقال له الأحنف اقتله قتله الله مخادعا . وأتى الزبير رجل من كلب
فقال له يا أبا عبد الله أنت لى صهر وابن جرموز لم يعتزل هذا
الحرب مخافة الله ولكنه كره أن يخالف الأحنف وقد ندم
الأحنف على خذله علياً ولعله أن يتقرب بك إليه وقد أخذ منك
درعك وفرسك وهذا تصديق ماقلت لك فبت عندى ليلة ثم أخرج
بعد نومة فإنك إن فتهم لم يطلبوك فتهاون بقوله ثم بدا له فماترى
ياأخا كلب قال أن ترجع فرسك ودرعك فتأخذهما فإن أحداً
من الناس لا يقدم عليك وأنت فارس أبداً فأصبح الزبير عارياً
وسار معه ابن جرموز وقد كفر على الدرع فلما انتهى إلى وادى
السباع استغفله فطعنه ثم رجع برأسه وسلبه إلى قومه فقال له
رجل من قومه ياابن جرموز فضحت والله اليمن بأسرها قتلت
الزبير رأس المهاجرين وفارس رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحواريه وابن عمته والله لو قتلته فى حرب لعز ذلك علينا ولممنا
عارك فكيف وهو فى جوارك وذمتك والله لايزيدك على علىأن
يبشرك بالنار فغضب ابن جرموز وقال والله ماقتلته إلا له ووالله
ماأخاف فيه قصاصاً ولاأرهب فيه قرشياً وأن مثله على لهين .

(مخاطبة على لطلحة بين الصفين)

قال وذكروا أن علياً نادى طلحة بعد انصراف الزبير فقال له يا أبا محمد ما جاء بك قال أطلب دم عثمان قال على قتل الله من قتله قال طلحة نخل بيننا وبين من قتل دم عثمان أما تعلم أن رسول الله ﷺ وسلم قال يحل دم المؤمن فى أربع خصال زان فيرجم أو محارب لله أو مرتد عن الإسلام أو مؤمن يقتل مؤمناً عمداً فهل تعلم إن عثمان أتى شيئاً من ذلك فقال على لا قال طلحة فأنت أمرت بقتله قال على اللهم قال لا طلحة فاعتزل هذا الامر ونجعله شورى بين المسلمين فإن رضوا بك دخلت فيما دخل فيه الناس وإن رضوا غيرك كنت رجلا من المسلمين قال على أو لم تبايعنى يا أبا محمد طائعاً غيره مكره فما كنت لاترك بيعتى قال طلحة بايعتك والسيف على عنقى قال ألم تعلم أنى ما كنت أكرهت أحداً على البيعة ولو كنت مكرها أحداً لأكرهت سعداً وابن عمر ومحمد بن مسلمة . أبو البيعة واعـــتزلوا فتركتهم قال طلحة كنا فى الشورى ستة فمات أثنان وقد كرهناك ونحن ثلاثة قال على إنما لكما أن لا ترضيا قبل الرضى وقبل البيعة

وأما الآن فليس لكما غير ما رضيتما به إلا أن تخرجا مما بويعت عليه بحدث فإن كنت أحدثت حدثاً فسموه لى وأخرجتم أمكم عائشة وتركتم نساءكم فهذا أعظم الحديث منكم أرضى هذا لرسول الله إن تهتكوا ستراً ضربه عليها وتخرجوها منه فقال طلحة إنما جاءت للاصلاح قال على هى لعمر الله إلى من يصلح لها أمرها أحوج أيها الشيخ أقبل النصح وأرض بالتوبة مع العار قبل أن يكون العار والنار . .

(التحام الحرب)

قال وذكروا إنه بينما كان الناس وقوفاً إذ رمى رجل من أصحاب على فجىء به إلى على فقالوا يا أمير المؤمنين هذا أخونا قد قتل فقال على اعذروا إلى القوم فقال عبد الرحمن بن أبى بكر إلى متى قد والله أعذرنا وأعذرت إن كنت تريد الاعذار والله لتأذن لنا فى لقاء القوم أو لننصرفن إلى متى نستهدف نحورنا للقتال والسلاح يقتلوننا رجلا رجلا فقال على قدو الله أرانا أعذرنا أين محمد ابنى فقال أى بنى خذ الراية فابتدر الحسن والحسين ليأخذاها فأخرهما عنها وكان على يؤخرهما شفقة عليهما

فأخذ محمد الراية ثم قام على فركب بغلة رسول الله ﷺ ثم دعا بدرع رسول الله ﷺ فلبسها ثم قال احزمونى فحزم بعمامة أسفل من سرته ثم خرج وكان عظيم البطن فقال لابنه تقدم وتضعضع الناس حين سمعوا به قد تحرك فبينما هم كذلك إذ سمعوا صوتاً فقال على ورفع بصره إلى السماء لعن الله قتلة عثمان فى السهل والجبل . وقد كان على عبأ الناس أثلاثا لجمل مضر قلب العسكر واليمن ميمنة وربيعة ميسرته وعبأ أهل البصرة مثل ذلك فاقتتل القوم قتالا شديداً فهزمت يمن البصرة يمن على وهزمت ربيعة البصرة ربيعة على قال حيـة بن جهين نظرت على وهو يخفق نعاساً فقلت له تالله ما رأيت كاليوم قط إن بازائنا لمائة ألف سيف وقد هزمت ميمنتك وميسرتك وأنت تخفق نعاساً فانتبه ورفع يديه وقال اللهم إنك تعلم إنى ما كتبت فى عثمان سواداً فى بياض وإن الزبير وطلحة أليا وأجلبا على الناس اللهم أولانا بدم عثمان نخذه اليوم ثم تقدم على فنظر إلى أصحابه يهزمون ويقتلون فلما نظر إلى ذلك صاح بابنه محمد ومعه الراية إن اقتحم فأبطأ وثبت فأتى على من خلفه فضربه بين كتفيه وأخذ الراية من يده ثم حمل فدخل عسكرهم وإن الميمنتين والميسرتين

تضربان فى إحداهما عمار والأخرى عبد الله بن عباس ومحمد بن أبى بكر قال فشق على فى عسكر القوم يطعن ويقتل ثم خرج وهو يقول الماء الماء فأتاه رجل بأدواة فيها عسل فقال له يا أمير المؤمنين أما الماء فانه لا يصلح لك فى هذا المقام ولكن أذوقك هذا العسل فقال هات لحسا منه حسوة ثم قال إن عسلك لطائفى قال الرجل لعجبا منك والله يا أمير المؤمنين لمعرفتك الطائفى من غيره فى هذا اليوم وقد بلغت القلوب الحناجر فقال له على أنه والله يا ابن أخى ماملأصدر عمك شىء ثم أعطى الراية لابنه وقال هكذا فاصنع فتقدم محمد بالراية ومعه الأنصار حتى انتهى إلى الجمل والهودج وهزم ما يليه فاقتتل الناس ذلك اليوم قتالا شديداً حتى كانت الواقعة والضرب على الركب وحمل الاشتر النخعى وهو يريد عائشة فلقيه عبد الله بن الزبير فضربه الاشتر واعتنقه عبد الله فصرعه وقعد على صدره ثم نادى عبد الله : اقتلونى ومالكا فلم يدر الناس مالك فانفلت الاشتر منه فلما رأى كعب بن سور الهزيمة أخذ بخطام البعير ونادى أيها الناس الله الله فقاتل وقاتل الناس معه وعطفت الأزد على الهودج . وأقبل على وعمار والاشتر والانصار معهم يريدون الجمل فاقتتل القوم حوله حتى حال بينهم الليل وكانوا كذلك يروحون ويغدون على القتال

سبعة أيام وأن علياً خرجا إليهم بعد سبعة أيام فهزمهم فلما رأى طلحة ذلك رفع يديه إلى السماء وقال اللهم أن كنا قد داهنا فى أمر عثمان وظلمناه فخذله اليوم مناحتى ترضى قال فما مضى كلامه حتى ضربه مروان ضربة أتى منها على نفسه فخر وثبتت عائشة وحماها مروان فى عصابة من قيس ومن كنانة وبنى أسد فأحدق بهم على ابن أبى طالب ومال الناس إلى على وكلما وثب رجل يريد الجمل ضربه مروان بالسيف وقطع يده حتى قطع نحو عشرين يداً من اهل المدينة والحجاز والكوفة حتى أتى مروان من خلفه فضرب ضربة فوقع وعرقب الجمـــل الذى عليه عائشة وانهزم الناس وأسرت عائشة وأسر مروان بن الحكم وعمر بن عثمان وموسى ابن طلحة وعمر بن سعيد العاصى فقال عمر لعلى ياأمير المؤمنين أقتل هؤلاء الأسرى فقال على لاأقتل أسيراً اهل القبلة إذا رجع ونزع فدعا على بموسى بن طلحة فقال الناس هذا اول قتيل يقتل فلما اتى به على تبايع وتداخل فيما دخل فيه الناس قال لم فبايع وبايع الجميع وخلى سبيلهم وسأل الناس علياً ماكان عرض عليهم قبل ذلك فأعطاه ثم أمر المنادى فنادى لا يقتلن مدبر ولا يجهز على جريح ولكم مافى عسكرهم وعلى نسائهم العدة وما كان لهم من مال فى أهليهم فهو ميراث على فرائض الله فقام رجل فقال يا أمير

المؤمنين كيف تحل لنا أموالهم ولا تحل لنا نساؤهم ولا أبناؤهم فقال لا يحل ذلك لكم فلما أكثروا عليه فى ذلك قال اقترعوا هاتوا بسهامكم ثم قال أيكم يأخذ أمكم عائشة فى سهمه فقالوا نستغفر الله فقال وأنا أستغفر الله قال ثم أن علياً مر بالقتلى فنظر إلى محمد بن طلحة وهو صريع فى القتلى وكان يسمى السجاد لما بين عينيه من أثر السجود فقال : رحمك الله يا محمد لقد كنت فى العبادة مجتهداً آناء الليل قواماً وفى الحرور صواماً ثم التفت إلى من حوله فقال هذا رجل قتله برأبيه فاختلفوا فى طلحة وابنه محمد أيهما قتل قبل فشهدت عائشة لمحمد أنها رأته بعد قتل أبيه فورثوا ولده فى مال طلحة . قال وأتى محمد بن أبى بكر فدخل على أخته عائشة رضى الله عنها قال لها ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول على مع الحق والحق مع على ثم خرجت تقاتلينه بدم عثمان ثم دخل عليهما على فسلم وقال يا صاحبة الهودج قد أمرك الله أن تقعدى فى بيتك ثم خرجت تقاتلين أترتحلى قالت أرتحل فبعث معها على رضى الله عنه أربعين امرأة وأمرهن أن يلبسن العمائم ويتقلدن السيوف وان يكن من الذين يلينها ولا تطلع

على أنهن نساء فجعلت عائشة تقول فى الطريق فعــــل الله فى ابن أبي طالب وفعل بعث معي الرجال فلما قدمن من المدينة وضعن العمائم والسيوف ودخلن عليها فقالت جزى الله ابن ابى طالب الجنة قال ودفن طلحة فى ساحة البصرة فأتى عائشة فى المنام فقال حوليني من مكانى فإن البرد قد آذاني فحولته . وقال عبد الله ابن الزبير أمسيت يوم الجمـــل وفيه بضع وثلاثون بين ضربة وطعنة وما رايت مثل يوم الجمل جرحا قط ما ينهزم منا احد ولا يأخذ احد منا بخطام الجمل إلا قتل او قطعت يده حتى ضاع الخطام من يد بنى ضبة فعقر الجمل قال دخل موسى بن طلحة على على فقال له على انى لأرجو أن أكون أنا وأبوك ممن قال الله فيهم (ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين) وأمسى على بالبصرة ذلك اليوم الذى أتاه فيه موسى ابن طلحة فقال ابن الكواء أمسيت بالبصرة ياأمير المؤمنين فقال كان عندى ابن أخى قال ومن هو قال موسى بن طلحة فقال ابن الكواء لقد شقينا ان كان ابن أخيك فقال على ويحك ان الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ثم قال ابن

الكواء يا أمير المؤمنين من أخبرك بسيرك هذا الذى سرت فيه لضرب الناس بعضهم ببعض وتستولى بالامر عليهم أرأى رأيته حين تفرقت الامة واختلفت الدعوة فرأيت إنك أحق بهذا الامر منهم لقرابتك فان كان رأيا رأيته أجبناك فيه وإن كان عهداً عهده إليك رسول الله فأنت الموثوق به المأمون على رسول الله فيما حدثت عنه فقال علي أنا أول من صدقه فلا أكون أول من كذب عليه اما أن يكون عندى عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا والله ولكن لما قتل الناس عثمان نظرت فى أمرى فاذا الخليفتان اللذان أخذاها من رسول الله قد هلكا ولا عهد لهما وإذا الخليفة الذى أخذها بمشورة المسلمين قد قتل وخرجت ربقته من عنقى لانه قتل ولا عهد له قال ابن الكواء صدقت وبررت ولكن ما بال طلحة والزبير ولم استحللت قتالهما وقد شاركاك فى الهجرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى الشورى مع عمر بن الخطاب قال على بايعانى بالحجاز ثم خالفانى بالعراق فقاتلتهما على خلافهما ولو فعلا ذلك مع أبى بكر وعمر لقاتلاهما .

كتب سياسية

تصدر يوم الاحد القادم

تقدم

أزمة كليـــوباترة
مؤامرة صهيونية

تاليف

سعد جلال
عطيه عبد الجواد

عضوا جمعية العلوم السياسية

الثمن ٣ قروش

طبـــع
بمطابع الدار القومية
٥٩ شـارع رمسيس
ص.ب ٢٣٩٨

روايات عالمية

تقدم
صباح السبت القادم
الرواية العالمية

كنوز الملك سليمان

قصة رائعة الحوادث . حافلة بالمغامرات .

بقلم
الكاتب الانجليزي الكبير
رايدر هجارد

الثمن ٣ قروش

الكتاب ٤٨ الثمن ٥ قروش
صدر يوم الخميس ١٢ مايو ((ايار)) سنة ١٩٦٠